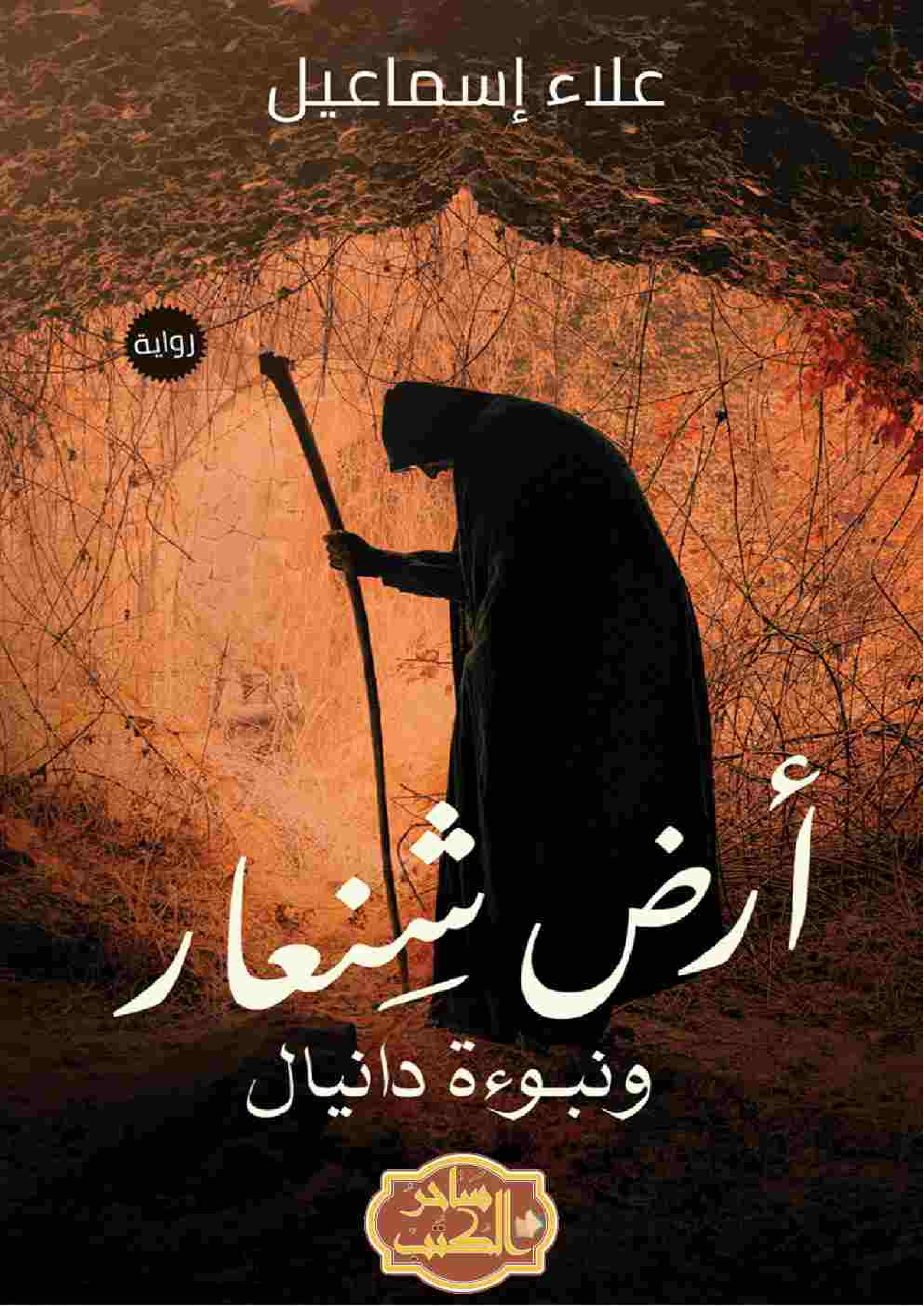

علاء إسماعيل
رواية
أرض شِنعار
ونبوءة دانيال
ساحر الكتب

(جميع الأرقام والأعوام المذكورة في الرواية من واقع نبوءة دانيال، هي محض اجتهادات)

بقلم

علاء حسن إسماعيل

حكاية الساحر الأخير..

نحن الآن في أرض شنعار.. وها أنذا أجلس وحيدًا، بعد أن جُبْت صحراء العرب وحيدًا، الحاوي يجلس القرفصاء؛ استعدادًا ليروي حكايته الأخيرة، بينما الثعابين ترقص من حوله، الكهف يترامى من بعيد لمرمى بصري، سوف نذهب إليه.. ولكن ليس الآن.. لا تتعجلوا يا رفاق..

لا تتعجلوا.. استرخوا جيدًا ولا تبالوا بلهاثي المتواصل، ولا عرقي المتصبب، اسمي مخيون.. ولعلكم ستظنون أن الحكاية التي أنا بصدد رويها عليكم درب من دروب حكايات الماورائيات، ولكن هذا غير حقيقي بالمرة.. اسمي مخيون كما قلت لكم، ومهنتي هي السحر، أنا حاوي الصحراء الأخير.. وقد همت في صحراء العرب كلها.. لعلكم ستعتقدون أن تلك مهنة غريبة بعض الشيء، تخيل وأنت تستخرج بطاقتك في السجل المدني، وتطلب من الموظف الوقور أن يكتب أنك ساحر مختص بالسحر الأسود وتأمين مؤامرات العالم.. ولكن نعم تلك هي مهنتي، ولكن تلك المهنة لن تفيدني كثيرًا لو طلبتم الآن. فأنا على وشك الموت.. أحس بأن كل شيءٍ سوف يضيع هدرًا، وسحر العالم كله لن يقدر على إنقاذي.

أتمنى أن تكفي الدقائق المتبقية كي أسرد لكم حكاية النبي دانيال..

عليكم فحسب أن تُطلقوا العنان لخيالكم، فكروا معي في حقبة الغزو البابلي وهدم الهيكل، وما زامنها من أنبياء إسرائيل، كأرمياء وحزقيال ودانيال، وما هو لغز دانيال؟

وهل تعرفون أي شيء عن نبوءة النبي دانيال للسلطان عبد الحميد؟!

وما هي الرؤيا العجيبة التي رآها الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما؟! أيدهشكم هذا؟ لا تتفاجأوا بسرعة وسهولة، واحتفظوا بدهشتكم لما بعدُ من فضلكم.. فالمفاجآت محملة في قطار مسرع قادم إلينا.. والآن أصغوا جيدًا لحكاية الساحر الأخير.. قبل أن يرحل عن عالمكم.

الحكاية بدأت كالآتي...

اجتمعوا من حولي يا رفاق، ولا تبالوا بالوثائق القديمة والمخطوطات، حاولوا ألا تتعثروا في تلك الجماجم المنتشرة في كل صوب، هي تراقبنا دومًا، التفُّوا من حولي في الكهف

القديم ولنبدأ حكايتنا..

في التاسع من أغسطس من عام ١٩٤٧ وبتجويف بداخل كهف في صحراءٍ بضواحي البحر الميت.. تقع بعض الأحجار محدثةً صوتًا مدويًا، وذلك إثر خشخشةٍ فوقه.. من تيس ماعز في منطقةٍ صحراوية جبلية قاحلة.

أترى هذا التيس تائهًا من أصحابه؟! أظن أنه ليس بتائه، بل لعلـه فرَّ من أصحابه لكي يأتوا إلى ذلك الكهف على وجه التحديد، حتى يروا ما يريده منهم أن يروه.. وكأن تلك الرسالة كانت مخفية ليوم كهذا..

ترى ما الذي يوجد في ذلك الكهف؟ وما الذي دفع ذلك التيس للجري باتجاه الكهف شبه المظلم؟ وما هو ذلك الصوت الذي أحدثه وقوع بعض تلك الأحجار الصغيرة داخل ذلك التجويف العجيب!

وفي اللحظة ذاتها، جاء اثنان من الأطفال البدو.. من بدو قبيلة التعامرة؛ ليدخلوا الكهف.. وما أن أقبلوا على الماعز لينتشلوه من التجويف.. حتى رأوا ما لم يكن يتوقعوه أو حتى يتخيلوا يومًا أن يروه!

وجدوا تجويفًا عميقًا، ويبدو أن فيه أواني فخارية كبيرة.. نعم إنه نوعٌ من الأواني الضخمة المطعَّم بمادة كاتمة متماسكة ثم المطلية بمادة زجاجية متينة وبالنحاس القوي.. لكي يحفظ القدماء فيها كنوزهم الثمينة دون أن يمسها مكروه..

نعم لقد كانت هذه الأواني تحتوي على كنز، وأي كنز!

إنها تحتوي على عدد كبير من المخطوطات واللفائف الأثرية موضوعةً في هذه الأواني بترتيب فائق رائق..

فيمـا عُرفت بعد ذلك بمخطوطات البحر الميت وقمران.

اتجه أهل هذين الطفلين إلى الكهف؛ ليجلبوا معهم أحد هذه الأواني، وعرضوها على أحد شيوخ المسلمين، إلا أنه أخبرهم أن الكلام المكتوب بعضه سرياني وبعضه عبراني، وأشار إليهم أن يذهبوا إلى التاجر خليل إسكندر، والذي بدروه اتصل بجورج شعيا التاجر السُرياني ومعه الكاهن اليهودي أليعازر.. والذي تبدو عليه سمات البساطة واللباس الكتاني والشماغ اليهودي واللحية البيضاء والضفائر التي يمتاز بها كهنة اليهود.

تأمل أليعازر الكلام العبري، فوجد جزءًا من سفر دانيال، وعليه لفافة من الجلد مكتوب عليها بالعبرية **הסוד של דניאל**

«هذا لغز دانيال» النبي!

شفرة: حجر تحول إلى جبل

شفرة: حرب الوحوش

شفرة: ألف ومائتان وتسعون

شفرة: رجسة الخراب

شفرة: نزع القدس.

شفرة: موت التنين العظيم!

هكذا كانت الشفرات المكتوبة على اللُفافة!

فرح بها جدًا أليعازر؛ إذ إنها تعود إلى زمن بعيد، ومن يحصل على قيمةٍ علميةٍ كهذه، لا شك أن يكون له شأنٌ، لكن الكاهن كان متوسط الحال كباقي أبناء نحلته.. وهو كما يبدو من اليهود السامريين البسطاء، وليس من الصهيونيين الأغنياء. فلم يستطع أن يشتري منهم المخطوط.

إلا أنه ترجم لهم هذه العبارات المكتوبة على سفر دانيال.. وأخبرهم بأنها شفرات عني بها دانيال أحداثًا تاريخية سوف تحدث في المستقبل.. في نهاية العالم!!

اليهود السامريون هم أحد فرق اليهود المعروفة، وهم يعترفون فقط بالأسفار الخمسة التي نزلت على موسى، لكنهم بالتأكيد يعرفون باقي أسفار أنبيائهم ككتب معتبرة، لكن ليست مقدسة بالنسبة إليهم.

لم يقف هؤلاء كثيرًا أمام كلام أليعازر الكاهن، فكل ما يهمهم هو جمع المال، والثراء الفاحش السريع عِوضًا عن رعي الغنم الذي يتحصلون منه على الفلس أو الفلسين!

وبعد فحص ما وجدوه من كنز اتضح أن بقية المخطوطات كانت تنتمي إلى أسفار العهد القديم، وأسفار الأنبياء، وأن

هذه المخطوطات تعود إلى فرقة يهودية تسمى «الأسينيين» التي انعزلت عن بقية مدن اليهود، وبنت مدينة صغيرة لها في هذا المكان؛ هربًا من بطش الرومان، لكنها تحطمت عام ٣١ قبل الميلاد، وأُعيد بناؤها عام ٤ قبل الميلاد، باع البدو هذه المخطوطات بكل حماقة إلى المُطران يشوع صموئيل بثمنٍ زهيد، والذي - بدوره - قد أكمل تلك الحماقة، وباع هذه الكتب إلى الكونجرس الأمريكي! والذي شكل لجنة - للتوِّ - حول هذه الأسفار، وقد تفاجأوا مما وجدوه بداخل تلك الكتب مما هو مخالفٌ لما بين أيديهم الآن.

ثم سلموها إلى دولة إسرائيل، واتفقت إسرائيل والولايات المتحدة على عمل لجنة مكونة من ثمانية أشخاص (ممن يثقون بهم)، هم فقط من لهم الحق في الاطلاع عليها، وسموا اللجنة بلجنة الثمانية!

وفي هذا المقام لا يفوتنا قول عالم الآثار الإسرائيلي أهارون كمبيسكي: «إذا قبِلنا بيهودية جماعة قمران، فهذا يعني بطلان اليهودية الحالية»!

إن المسألة برمتها في الحقيقة تعجُّ بعلامات الاستفهام، وتحتاج منا إلى إمعان التفكير، وخاصة في سر النبي دانيال.

وماذا تعني الشفرات التي قرأها وترجمها الكاهن أليعازر فور ما وجد ذلك السر؟!

ودون أدنى شك فإن معرفة تلك الشفرات العجيبة، تتطلب معرفة ملابسات تلك الحقبة التي عاشها نبي الله دانيال.

وقبل أن نشرع في سيرة ولغز دانيال، دعنا نطوف تطوافة سريعة إلى ملابسات ما قبل هذه الحقبة حتى نصل إليه بعد الانتهاء من رحلة تحمل الكثير من الإجابات بدورها، وتحديدًا في أورشليم أو القدس..

ها نحن ذا في الكهف ننتظر الهول القادم، لعل الوقت يكفيني بعد كل شيء، لنرى ما حدث في أورشليم يا سادة، استمعوا إلى ما سيقودنا إلى سر النبي دانيال، استمعوا إلى حكاية الساحر الأخير بآذان صاغية..

ستمائة وثلاثون قبل الميلاد..

في غروب الشمس حيث الشفق الأحمـر يعلو السماء.. ومن أمام هيكل الرب بأورشليم القدس.. وقفت النسوة يتزاحمن حول صورٍ وتماثيل منحوتة نحتها لهم بعض كهنة يهوذا.. وهذه الصور هي لكهنة وأنبياء صالحين لهم، صور مكتوبٌ عليها بعض التعويذات العبرانية التي ادَّعوا أن سليمان قديمًا كان يقرؤهـا ويتعوذ بـها.. إنها تعويذات تشفي المريض، وتُبرئ الأكمه والأبرص، وتردُّ الرجل إلى امرأته.. وتفعل الأعاجيب كما يدَّعون!

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾... (البقرة: ١٠٢).

بينما يوجد خمسون رجلًا واقفين على قبر داوود وسليمان يسألونهما قضاء الحوائج من دون الله، وذلك على مرأى ومسمع من الكهنة والفريسيين(1) الذين كانوا يعلمون الحقيقة، ولكن لا يُنكـرون ما يحدث بداخل الهيكل.

ولمَ ينكرون؟! والأموال والنذور تُجلب لهم من خلال

صناديق النذور والتي خصصت لها.

أشياء لا يجب الحديث عنها تحدث داخل الهيكل لو طلبتم رأيي، والآن دعوني أقصّ عليكم حكاية أرميا.. الرجل الذي لا يخاف..

رجل لا يخاف

في ظل هذه الأحداث المهيبة يدخل الهيكل شاب صغير صبوح الوجه اسمه «أرميا» من قرية تسمى «عناثوث»، حيث كان مواظبًا على دروس الكهنة والفريسيين.. غير أنه في تلك الليلة وقد بدا على ملامح وجهه بعض علامات الغضب أومأ له الكاهن بيده كي يجلس.

لكن يبدو أن أرميا لم يكن آتيًا لسماع التوراة كعادته..

ظل أرميا واقفًا مترددًا لا يدري ما يقول، غير أنه لم يجلس كغيره من الحضور.. نعم لم يجلس! حينها أمسك التوراة ورفعها بيده إلى السماء، وصاح فيهم بصوتٍ ارتجّت له جنبات الهيكل: عودوا إلى طريقة داوود وسليمان ويهوشع بن نون وإبراهيم وإسحاق.. عودوا إلى توحيد الإله الواحد.

ساد الصمت المكان، وعيون جميع الحضور ترمقه بنظراتٍ جمعت بين الدهشة والاستنكار والشفقة، مما قد يحصل له؛ جراء هذا الإنكار الحاد! ولكن الرؤية قد أتت أرميا بالفعل، وهو يعلم الآن أنه نبي وعليه الصمود جيدًا، فهل ينجح أرميا الشاب الصغير في التأثير على هذا المجتمع؟!

إن أرميا هو ذاك الشاب الصلد العنيد.. الذي لم يكترث كثيرًا بما يخالفه فيه الناس ما دام يدافع عن قضية ناجحة.

بالفعل بعد وقتٍ قصير، ينجح أرميا أن يُحدث بلبلة عند الكهنة، ويصل أمره إلى الملك يوشيًا... وسرعان ما يأمر الملك بتحطيم هذه الأصنام والتصاوير وإزالة التعاويذ من الهيكل، ولكن ماذا كان ردُّ فعل العامة والغوغاء!

لقد توعدوا أرميا بالقتل والصلب!

حقًّا إنه من السهل أن تسير مع التيار العام.. ولكن من الصعب جدًّا أن تثبُت على المبادئ.. ولكن هذا ليس عسيرًا على أرميا ذي العقيدة الراسخة!

أرميا يتنبأ بتدمير الهيكل

تمرُّ السنون. ويموت يوشيا الملك، وبعد ثلاثة أشهر يصير ابنه «يهوياقيم» ملكًا.

ويستمر أرميا في القول للشعب: ستُدمَّر أورشليم، وسوف تحل اللعنة على بني إسرائيل.. الكلدانيون قادمون، وسوف يأخذونكم خدمًا لهم.. هكذا قال لي الرب.

فيمسك الكهنة أرميا ويصرخون: «يجب أن تُقتل؛ لأنك تكلمت على شعبنا المختار»، ثم يقولون لرؤساء إسرائيل: يجب أن يموت أرميا؛ لأنه تكلم على مدينتنا المقدسة.

فماذا سيفعل أرميا الآن؟ إنه شابٌ لا يخاف! ويقول لهم جميعًا: لقد أرسِلت إليكم لأكلمكم بهذه الأمور. فإذا لم تُغيِّروا طرق حياتكم الشريرة سيدمِّر يهوه أورشليم.. نعم سيُدمر الهيكل. ولكن تيقَّنوا بهذا: إذا قتلتموني فإنكم تقتلون رجلًا لم يرتكب خطأً».

وقام - للتو - واحد من أعداء أرميا وهو الكاهن «فشحور» الناظر الأول للهيكل، وضرب أرميا ضربًا موجعـًا، وجعله في

المقطرة..

ثم أمر به وحُمِل إلى الملك «يهوياقيم»، والذي - بدوره - حبسه في سجن فوق الجبل!

أما في السجن، فقد جلس أرميا متعَبًا متنهدًا بجوار نافذة السجن التي تطل على سماء زرقاء التي تُظِل مملكة يهوذا المترامية الأطراف.. حينها انسكبت دمعة حارة من أرميا؛ إشفاقًا على مدينته المقدسة، والتي تنتظر قدرها في المستقبل القريب!

تدمير الهيكل وتحقق النبوءة

وسط الغيوم تتصاعد الأدخنة، أدخنة اللهب المتصاعدة إلى السماء إثر تدمير أورشليم! على يد الملك البابلي نبوختنصر.. المدينة المقدسة.. نعم لقد دُمِّرت القدس - المملكة المظلومة عبر التاريخ - وسقطت مملكة كبيرة خضعت لها كل الدنيا، إنها مملكة سليمان.. لقد دُمرت مملكة شعب الله الذين اختارهم من بين شعوب العالم واصطفاهم برسالته، وهو بنفسه الذي سلط عليهم ملك بابل «نبوختنصر»، وأخذ منهم الأسرى والسبايا؛ جزاءً عادلًا لهم بعدما كذَّبوا الأنبياء، وعبدوا الأوثان، وآمنوا بالسحر.

انظر! إنها جحافل الإمبراطور نبوختنصر المهيبة، وأصداء حدوات خيوله يسمع لها دويٌّ بين الجبال، يأتي ليحاصر مملكة يهوذا، مُحدِثًا رعبًا في كل أنحاء المدينة المقدسة. بلغ الغبار عنان السماء.. واستمرت دقات طبول الحرب، وصدى صوتها يعلو ليزيد الرعب في قلوب بني إسرائيل، وأخيرًا يستولي الجنود على آنية الرب بالهيكل، ويجعل الملك البابلي نبوختنصر الإسرائيليين مكبلين بالقيود في مشهد مهين، حيث امتلأت المدينة بهم.. ثم يسوقهم إلى بابل؛ ليكونوا خُدامًا له، وأسروا ملك يهوذا «يهوياقيم»(!)

ولتطلق لعقلك العنان.. ولتتخيل ما يكون عليه حالُك إذا أسرك شعب غريب من موطنك الأصلي إلى أرض غريبة؛ لكي تعمل عنده خادمًا! إنه شعورٌ صعب، لكن من اختار طريق الشر، فليتحمل عواقبــه.

* **صوت ضحكات متقطعة** * نعم من اختار طريق الشر عليه أن يتحمل عواقبه، مثلي أنا.. الساحر الأخير الذي ابتغى الخلود، ووهب روحه للشيطان، ولم يجد سوى الهلاك في المقابل، دعوني أكمل لكم الحكاية التالية في الأحجية التي ستودي بنا للإجابة عن لغز النبي دانيال.

***

الملك صدقيا يقسم بالولاء لنبوختنصر!

بعدما أسر نبوختنصر ملك يهوذا «يهوياقيم»، أقام «صدقيا» مكانه، وأقسم الملك الجديد صدقيا أمام نبوختنصر بأنه لن يخونه..

ولم يجد الملك صدقيا بُدًّا في أن يأتي زائرًا لأسرى إسرائيل في بابل.. على مركبته الكبيرة المرصعة بالذهب والفضة! كي يقدّم الجزية للملك.. أجل! لقد أتى بنفسه ليبرهن له أنه والٍ من وُلاته، وتحت سلطانه وطاعته.

وتمر السنون، وتنقضي عشر سنواتٍ كاملة منذ أن أخذ الملك البابلي نبوختنصر أحسن الإسرائيليين ثقافةً مأسورين إلى بابل.

ولا يزال الإسرائيليون لم يصغوا إلى الأنبياء! واستمروا في عبادة الآلهة الباطلة عِوضًا عن الله.

أما أرميا فلم تفترْ عزيمته في دعوته، ولم يتزعزع، متحملًا ما يلقاه من أذىً جسدي ونفسي، لاسيــما من فشحور الناظر!

مناظرة في صحن الهيكل!

قفزت فكرة شيطانية إلى عقل «فشحور»؛ نكايةً في أرميا الذي كان يعاني الأمرَّين في محبسه في حكم الملك صدقيا! وهي فكرة بالاتفاق مع رجلٍ قد ادعى النبوة يدعى «حنانيا بن عزور» من بلدة «جبعون». كانت الفكرة أن يعقدوا مجلس مناظرة في صحن هيكل الرب، وكان حنانيا رجلًا عليم اللسان قويَّ الحجة، مُتَّقدَ الذهن! ولذلك استعان به فشحور كي يناظر أرميا.

وقف حنانيا في صحن الهيكل، ونادى أرميا بصوتٍ جهوريٍ جعل كل الناس تلتفُّ متسائلين: ما الخطب؟! فأقبل أرميا ووقف قُبالته، وقال له: ما الأمر أخي؟ هل تحتاجُ إلى مساعدة؟!

فأنطلق حنانيا - وكأنه يتنبأ - ورفع يُمناه ويُسراه إلى السماء قائلًا: «هكذا كلمني ربُّ الجنود إله إسرائيل: قد كسرت نير(2) ملك بابل - وفي سنةٍ من الزمان أردُّ إلى هذا الموضع كل آنية بيت الرب المسلوبة التي أخذها نبوختنصر ملك بابل وأردُّ إلى هذا الموضع يهوياقيم ملك يهوذا»، ثم أردف قائلًا: لا تصدقوا الخانعين الجبناء أمثال «أرميا»

الكذاب (!) فإن الرب قد كلمني بالنصر للمؤمنين.

إنه خطابٌ ناريٌّ يؤجج مشاعر الشعوب المنهوبة بأن النصر هو حليفنا دائمًا، وأن المقاومة هي طريقنا.. والموتُ في سبيل الله أسمى أمانينا!! خطاباتٌ رنانة تُعلق الجماهير بالنصر دون أدنى تصحيحٍ للمسار، ولا تنويهٍ بأن عقوبةِ الرب إنما هي بسبب معصية شعب إسرائيل، فما أسهل اجترار الناس بهذه الشعارات الحماسية، وهو رجلٌ فيما يبدو ترتسمُ عليه علامات الصلاح، مما ساعد وأجَّج في فتنة الناس به.

ولأن اجتذاب انتباه الجماهير بهذه الشعارات الرنانة طريقٌ سهل ميسور، فلقد اتخذ أرميا الذي دعا إلى تصحيح المسار والاعوجاج، الطريق الوعِر المحاط بالعراقيل، وأصبح منبوذًا في أعين الناس، وجميع الحاضرين يرمقونه بنظراتِ احتقارٍ وازدراء!

أما أرميا فقد تمالك شتات نفسه، ثم همّ يستطلع ما يحدث وقلبه يرتعد والقلق يُمزق قفصه الصدري، وهو يسترقُ النظر إلى هذه النظرات النارية التي ينظر بها الناش إليه!

ما فتئ أرميا ينظر حوله كثيرًا حتى سمع صوت هاجسٍ

نفسي يقول: لا تخف نحن معك، أكمل المناظرة ونحن نستمع!!

تنفس أرميا الصعداء قائلًا: «آمين، وأنا أرجو ذلك مثلك يا حنانيا، فمن منا لا يحبُّ النصر للمؤمنين؟! ليُقِم الرب كلامك، فيردّ آنية بيت الرب، ويردّ كل السبي من بابل إلى هذا الموضع.. ولكن اسمع يا حنانيا هذه الكلمة التي أتكلم بها في أذنيك وفي آذان كل الشعب: إن الأنبياء الذين كانوا قبلي وقبلك منذ القديم، والذين تنبأوا على أراضٍ كثيرة وممالك عظيمة بالحرب والشر والوبال قد حصل كلامهم! فعند حصول كلمة النبي يعرف ذلك النبي أن الله قد أرسله حقًّا!

وهنا تزمجر حنانيا وصرخ في وجهه قائلًا: أتهزأ بي أيها الكذاب؟!

حنانيا يضرب أرميا

تضايق حنانيا من الكلام؛ إذ إن أرميا جعل صدق كلام أي نبيٍ منوطًا بتحققه على الواقع، والذي بدوره يشهد بصدق أرميا الذي تنبأ بالغزو البابلي!!

لكن حنانيا الذي أعجزته الحجة راح يُدلل على صدق روايتِهِ بفعل مشين في حق نبي الله أرميا، فلقد كسر حنانيا نيرًا خشبيًا على عنق النبي أرميا! في مشهدٍ مُهين أمام الناس، ولم يكترث بعقوبةٍ من الله.

ثم أردف قائلًا: هكذا قال لي الرب، أنا أكسر نير «نبوختنصر» ملك بابل في سنتين من الزمان على عنق كل الشعوب».

كل هذا وأرميا واقفٌ مكانه ثابت لم يتحرك، حتى لما ضربه حنانيا بالنير!

كان الموقف فوق احتماله.. فهو إنسان رقيق لا يحتمل جهل الناس وسفاهتهم.

لم يترك الله أرميا وحده يعاني من الاستهزاء، بل نزل جبرائيل - للتو - ليؤيده ويساعده، وفي الحال! بدا أرميا مرتعشًا وقد علاه العرق الشديد، ثم أغمض عينيه والعرق يتصبب منه، فسمع صوت جبرائيل يقول:

«قل لحنانيا الكذاب هكذا قال السيد الرب: لقد كسرت أنيار الخشب وعملت منها أنيارًا من حديد على عنق كل هؤلاء الشعوب؛ ليخدموا عبدي «نبوختنصر» ملك بابل؛ لأنك يا حنانيا قد جعلت الناس يتّكلون، قل لحنانيا هذه السنة سوف تموت؛ لأنك تكلمت كذبًا على ربك».

فما أكمل حنانيا السنة حتى مات!

أرميا يغرق في الطين

ليلٌ طويلٌ يمرُّ على كهنة يهوذا، وأرميا يُنغص عليهم حياتهم وشعائرهم الشيطانية، ولِمَ لا؟ فكل نبوءاته تحققت، حتى بموت حنانيا بن عزور، فخشي الكهنة من افتتان العامة بأرميا.

ولم يجد الكهنة صعوبة في أن يجبروا الملك صدقيا على إصدار أمرٍ ملكي يحكـم على أرميا بالموت. فقرروا على الفور أن يلقوه في جُبِّ الطين - وهو بئر مليء بالطين غليظ القوام - حتى يغرق أرميا ببطءٍ شيئًا فشيئًا.

فيجعلوا هذا عقابًا ملفقًا لأرميا، على أنه خائنٌ لأرضه وبلاده.

يا له من ورعٍ كاذب، مع أنه في الماضي القريب قد حذرهم مرارًا من غزو نبوختنصر؛ عقابًا من الله عليهم، وبعد أن تمت نبوءته الآن يتهمونه بالخيانة ويريدون قتله.

دفعوا أرميا في جب الطين، وظل أرميا يغرق شيئًا فشيئًا إلى أن وصل الطين إلى ذقنه!! وكان حارس الجُبِّ عبدًا

حبشيًا يدعى «عبد الملك» أو «عبد ملك».

انطلق عبد الملك الحبشي ليستعطف الملك صدقيا، وظنَّ أنه سوف ينهره، لكن صدقيا لم يحتدَّ عليه، بل أمره أن يسرع إلى إنقاذ أرميا؛ لئلا يموت، ولعل الملك تذكَّر أن نبوءة أرميا قد تحققت بغزو نبوختنصر، فلا مانع إذن أن يستشيره فيما يفعله فيما بعدُ.

دخل عليه أرميا - والطين يُلطخ ثيابه ولحيته - قال له الملك صدقيا مستهزئًا، وقد ابتسم ابتسامةً خبيثةً: منذ قليل دفعت نفسك للموت دفعًا، ما الذي سوف تجنيه من كل هذه المسرحية الهزلية؟

فقال أرميا: إن حياتي إنما تبدأ بعد الموت!

صدقيا: عجيبٌ هو عنادك، تُصدِّق نفسك وتُكذِّب الكهنة!

قال أرميا: الكهنة! ومن الكهنة؟! أليسوا بشرًا مثلي ومثلك! لا تبحث عن الله في قلوب كهنة الدين.. لا تُقدس ضمائرهم.. ابحث عن الله بداخلك.. قدّس صلاتك التي لا يُتقنها سواك! قدّس أحرف التوراة التي لا يقرؤها إلا لسانُك! الحق أقول

لك إن مفاتيح الجنة بيدك أنت، لا بأيديهم هم!

فقاطعه صدقيا: كيف وهم المُكلفون بالدين وشريعة يهوه!

أجابه أرميا: إن حبل الله يمتد لك ولي ولهم على السواء، بل ولكل إنسان أعجمي أو عبراني أو كلداني.

قال صدقيا متعجبًا: عربي وكلداني! إنك تُحدِّثنا بما لم نسمع من آبائنا، ألسنا شعب الله المختار؟ ألسنا أبناء إبراهيم؟!

أجابه أرميا: كذبٌ ودجلٌ من كهنة إسرائيل.. أبناء إبراهيم هم أبناء دينه وملَّته.. الناس جميعهم متساوون أيها الملك! لا فرق بين عبراني وكلداني وأحمر وأبيض؛ لأنهم جميعًا خلق الله.. إن الله قد أخذ من إبراهيم عهد النبوة منه، ومن بنيه على ألا يُبدِّلوا ويُغيِّروا، فإن بدَّلوا وغيَّروا فإن الظالمين لا ينالون عهده.

سيدي الملك، كيف لهؤلاء أن ينالوا عهد يهوه وهم قتلوا أنبياءه، ألا تذكر كيف قُتِل النبيُّ أشعياء؟!

أردف صدقيا قائلًا: نعم أذكر ذلك، لقد قتله الملك «منسي» ونشره بالمناشير.

أجهش أرميا بالبكاء وقال: كان هذا على مرأى ومسمع كهنة يهوذا، فقل لي بربك - أيها الملك - كيف لهؤلاء أن ينالوا عهد الله؟!

كان صدقيا ملكًا مترددًا ضعيف الشخصية ينقادُ إلى مخاوفه، وإلى رأي كهنة يهوه. وخلال آخر حصار فرضه البابليون على أورشليم، التمس إرشاد الله من أرميا، لكنه لم يعمل بموجب كلامه حين نصحه بالاستسلام إلى نبوختنصر. وبما أن رسالة أرميا لم تلقَ استحسانه، حبسه في باحة الحرس.

مع ذلك، استمرّ يستشيره في السر؛ خوفًا من إغضاب رؤساء يهوذا.

هل تريدون أن تعرفوا ما الذي سيحدث؟ أليس كذلك؟ حسنًا حسنًا.. لا تتعجلوا هكذا، أعطني كأس الدم هذا يا ولد، ودعني أرتشف منه؛ كي أستطع المواصلة، والآن.. أين كنا؟ آه.. ما حدث كان كما يلي..

اتفاقٌ سري وهزيمة مروعة

اتفاقٌ سريٌّ في جُنح الليل حصل بين صدقيا ملك يهوذا، وحفرع فرعون مصر - رابع ملوك الأسرة السادسة والعشرين - وبيّتوا النية على أن يُساعد المصريون مملكة يهوذا ضد جيوش نبوختنصر.

غضب نبي الله أرميا، وأخذ يطرق باب السجن بشكلٍ هستيري، وقد ارتفع صوته قائلًا: أخرجوني.. إن غضب الله قد حل بيهوذا.. أخرجوني.. أريد أن أخبر الملك بشيءٍ غاية في الخطورة.

دخل الجنود مسرعين على الملك؛ ليخبروه بما رأوه من إلحاح أرميا، اشرأبت عنق الملك وتعجب قائلًا: وماذا يريد أرميا في تلك الساعة!! أدخلوه فورًا.

أما أرميا فقد دخل عليه، وأخبره بغضب أنه قد خان القسم الذي أقسمه أمام نبوختنصر! ثم أخبره بأن الرب يكره نقض العهود حتى مع عابدي الأوثان!

قال الملك: وكيف عرفت ولا أحد يعلم عن هذا الأمر شيئًا؟!

قال أرميا: وهل تخفى على الله خافية؟ قد أخبرني جبرائيل عظيم الملائكة، ولذلك اعلم يا صدقيا أن الملك نبوختنصر سينتصر عليك، وسوف تعاني المدينة المقدسة - بسببك - وسيهدم الهيكل كليًّا، وستنقاد أنت إلى بابل، حيث يقتلونك هناك!

كان صدقيا كما عهدناه ضعيف الشخصية مُنقادًا لكلام كهنة يهوه! فلم يصدّق أرميا كعادته! وأمر بسجنه مرةً أخرى، وتعذيبه إلى حد الموت.. معتبرًا أرميا من المُخذِّلين له.. وظن أن أرميا ضد إعادة الشريعة وبناء الهيكل!

في الحقيقة، فإن الملك صدقيا لم يكن بذاك التدين الذي يجعله يحارب نبوختنصر من أجل الهيكل، ولكنه كان يؤمن بقوة الفراعنـــة، وأنهم القوة الوحيدة التي يمكن أن تقف أمام الجيوش البابلية!

وليت الأقدار ساعدت صدقيا، فقد حاصر نبوختنصر المدينة المقدسة، وسرعان ما اقتحم المدينة، وخرب الهيكل، وفرّت جيوش المصريين، تاركين «صدقيا» فريسة للأسد كي يفترسها.

أما صدقيا فقد قتلوا نساءه وأولاده أمام عينيه، وكووا النار على عينيه!

ثم انقاد صدقيا إلى بابل؛ ليُنفذ عليه حكم الإعدام، كما تنبَّأ أرميا!!

أرميا أسيـرًا

بدا أرميا عليلًا مثل كيسٍ من الثمار الذابلة، ورأسه متدلٍّ كورقةِ شجرٍ في فصل خريف، وسط كل هذه الصيحات.. والآهات.. والقتل.. والتشريد حاول أن يعيش معهم هذه اللحظة.. وأن يمدَّ يد العون إلى بني جلدته بإرشاده لهم، ولكنه لم يستطع، وقد سبق السيف العذل، واقتحم الجنود المكان المقدس.

اشرأبت عنقه كي يرى ما يحصل في المدينة المقدسة من نافذة السجن الحديدية، ولكنه وقع مرةً أخرى، والدموع تنسكب من مقلتيه.

دخل الجنود الكلدانيون، وفتحوا باب السجن، فوجدوا أرميا مستلقيًا على الأرض، فلما أقبلوا عليه أوثقوه جيدًا، وظنوه من مجرمي يهوذا؛ لكونه مسجونًا. كان الجنود يصطحبون بعض الشباب الذين قد تعلموا اللغة الكلدانية، وكان من ضمن هؤلاء نبي الله دانيال!

أسرع دانيال إليهم قائلًا: تراجعوا.. تراجعوا.. ماذا تفعلون بنبي الله؟! إنه أحد أنبيائنا وقد حذرنا مرارًا من الغزو البابلي

قبل حدوثه بعشرات السنين!

وأقبل الأسرى الإسرائيليون يُقبّلون يدي أرميا، ويسألونه أن يستغفر لهم الله.

لم يلتفت الجنود لهذا، وأوثقوا أرميا جيدًا؛ لمخافتهم أن يكون كاهنًا وساحرًا..

أعدَّ الجنود عُدّتهم للعودة مرةً أخرى، والأسرى والسُّباة منقادون أمامهم.

تم توزيع المسبيين على نواحي المدينة كعبيدٍ وخدم، أما دانيال ورفقاؤه ومعهم أرميا فدخلوا على الإمبراطور نبوختنصر!

نبوختنصر يطلق سراح أرميا

كان مشهد الإمبراطور مهيبًا يخيف أشد الرجال بأسًا، فهو رجل حروب طويل القامة، شديد الجأش، بعيد ما بين المنكبين عظيم اللحية كأنها فروٌ متدلٍّ.. ضخمُ الكتفين وعروق كتفيه تكاد تنفتقُ من حمل الدروع الثقيلة والسيوف.. وهنا تذكَّر أرميا قول جبرائيل له أن يهوه سيبعث عبادًا له أولي بأسٍ شديد ليؤدِّب بني إسرائيل.

أقبل الجنود على الإمبراطور موثقين أرميا الذي يخطو خطوة، ويتهاوى الأخرى من شدة التعب بين يديهم.

ثم تقدم كبير الجنود قائلًا: أيها الإمبراطور العظيم، هذا رجلٌ يدعى أرميا من نبلاء بني يهوذا يقولون إنه نبي صالح تنبَّأ بقدومنا منذ عشراتٍ من السنين!

فانتفض نبوختنصر مزمجرًا: أيها الحمقى، وإذ تعلمون أنه نبي صالح فلم توثقونه هكذا؟ فكُّوا وثاقه، وأحضروا له طعامًا وشرابًا..

أقبل نبوختنصر على أرميا، ثم نظر إليه متململًا، ووضع

يده على ذقنه لبعض الوقت، ولفَّ حول أرميا ببطء دورةً كاملة! وكأنه يقرأ شخصيته ثم يُحللها! ثم قال: لا يبدو عليك الهذيان يا رجل! بل يبدو عليك الحكمة والتؤدة! أخبرني بحق السماء أحقًّا أنت نبيّ أم ساحرٌ ومنجِّم؟! هل حقًّا تنبأت بقدومنا إلى أورشليم؟!

فأردف أرميا قائلًا: أما إني لست بساحرٍ ولا منجِّم، ولكن يوجد إله بالسماوات نعبده وهو يخبرنا بهذه الأمور.

قال نبوختنصر: ولِمَ سجنوك إذن؟

أجاب أرميا: لمَّا حذرتهم من خيانتك، فإن الله يُبغض نقض العهود، وقد أقسم صدقيا بين يديك أنه والٍ من وُلاتك وتحت سلطانك وطاعتك، فحذَّرته من مغبة الخيانة، وأبلغته بأنه يُقتل في بابل! لمَّا فعلت ذلك سجنوني وعذبوني.

وثب نبوختنصر وقد علته الرحضاء وقد تأثر بحال أرميا قائلًا: بئس القوم هم، بئس القوم هم.. قومٌ كذَّبوا نبيهم.. لك يا أرميا خاصة، وليس لأحدٍ غيرك أن تعيش معنا ها هنا مُكرَّمًا غيرَ مهان، أو أن ترجع إلى بلادك أن أحببت.

فأردف أرميا قائلًا: بل أرجع سيدي الملك؛ فإني لا أترك المدينة المقدسة. قال نبوختنصر: لك هذا.

ثم أمر نبوختنصر حافلة من الجنود أن تُرجعه إلى أورشليم، وأوصلوه بسلام إلى بيته.

ولكن (!)... يبدو أنّ أرميا قد أُمِر بمهمةٍ سرية بين بوادي الجزيرة العربية!!

أرميا والمهمة العاجلة!

في صحراء الجزيرة العربية وليلٍ قارس البرودة تأتي رياح فجر يومٍ جديد.. يومٌ تلوحُ فيه شارات الحرب.. بينما جيوش نبوختنصر تحتشد للمسير نحو ضواحي الحجاز؛ كي تُذيق بأسها إلى هذه القبائل، ولتعلم أن هناك قوة عظمى تحكم الأرض.. ويحتشد بنو قيدار من العرب، ويقود الجيوش البدوية عدنان بن أدد، وابنيه «معد» و«عك»؛ لمواجهة نبوختنصر. وإذ بزائرٍ غريب يأتي ليلًا ليطرق باب عدنان شيخ العرب وقدوتهم.. جاء الزائر متلفِّعًا بمُرْطٍ؛ حتى لا يعرفه أحـد، يربط دابته العجيبة الغريبة المضيئة بهالة من نورٍ.. ويبدو وكأنها دابة ليست من مخلوقات الأرض.

ربط هذا الزائر دابته في وتد من خشبٍ بجوار بيت عدنان، حيث كانت من أعراف البدوِ في تلك الحقبة الزمنية أن يغرسوا أوتاد الشجر أو الحجر بجوار البيوت وخيمات العرب؛ كي يسهل عليهم أن يربطوا فيها الدوابَّ.

كان الباب من أطول وأضخم أبواب قبائل العرب؛ لأنه باب ملكهم وقائدهم.

خرج عدنان، والذي تبدو عليه سمات البادية من خشونة اليدين والقدمين، واللباس الخشِن، خرج ليسأل: مَن الطارق؟! فأجاب الزائر: أنا أرميا بن حلقيا.. فتحرك مسرعًا ابنه «معد» ناحية الباب، ليفتح، ثم يحتضن هذا الزائر الذي يراه لأول مرة! وسط ذهول من أبيه.. فمَن أنت أيها الزائر؟!!

فيجيب الزائرَ عدنانَ قائلًا: السلام عليكم يا ابن عمي.. أنا أرميا من بني إسحاق بن إبراهيم.. جئتكم من بيت المقدس للتوِّ!!

فقال عدنان: السلام عليك يا ابن العم.

ولكن لا يزال عدنان متعجبًا من صنع ابنه.

قاطعهم معد، واتجه نحو أرميا ووقف قُبالته قائلًا: إنني أعرفك سيدي؛ فلقد رأيتُك مرارًا، ولو تحدثث الليل كاملًا لن أستطيع وصف ذلك الشعور حين استيقظتُ من حلمٍ غريبٍ العام الماضي!

رأيت كأني في جنة كبيرة، ورأيتك سيدي أرميا واقفًا أمامي، أخبرتني أنك ابن عمي من بني سبط يهوذا إسرائيل.. وأن من نسلي سيكون آخر الأنبياء.. وأسرعث للتوِّ نحو أمي لأخبرها وأبشرها.. لقد تكرر هذا الحلم كثيرًا بالنسبةِ لي.. حقًا لقد افتقدتك كثيرًا أيها الغريب. كان اللقاء مفعمًا بالودِّ من الطرفين، ولم يكن عدنان متوجسًا البتة من أرميا، رغم أنه يراه لأول مرةً، وأحس بدفء الحكمة والنبوة.

أما جبرائيل فكان يصطحبُ أرميا، بحيث لا يراه أحدٌ غيره! ليترجم له كلام عدنان ومعد.. ثم يلقنه ما يقوله بالعربية.

أصرَّ عدنان أن يضيف أرميا، وذبح له كبشًا وجهَّز الحطب.

جلسا معًا وسط نيران شواء الكبش وسط الصحراء

المظلمة، متجاذبين أطراف الحديث وأخبره أرميا بأخبار أجداده العرب، وقصّ عليه أحداثًا لا يعلمها غيره، وتعجّب منها عدنان جدًّا.

وظلا يتحدثان عن جدهما الأكبر إبراهيم وابنيه إسماعيل وإسحاق، وقصّ عليه أرميا ما حدث لبني إسرائيل طيلةَ هذه الفترة..

وكيف عانى أنبياء الله، وأن الله غضب على من بقي من بني إسرائيل، وقرر أن يبدلهم بأمةٍ من بني إسماعيل.. قال ذلك أرميا وهو متأسفٌ حزين على نزع النبوة من بني جلدته... إن ذلك عجيب أن تُنزع النبوة منا، كما قال أبونا داوود عليه السلام: الحجر الذي رفضه البناؤون قد أصبح رأس الزاوية! وهو عجيبٌ في أعيننا..

وهنا طلب أرميا من عدنان طلبًا عجيبًا.. إنه يطلب منه أن يصطحب ابنه معد إلى أرض يهوذا المخربة؛ لكي يحميه من بطش نبوختنصر وجنوده.

فقاطعه عدنان قائلًا: يا نبيّ الله، ولماذا معد؟ فما زال ابن اثنتي عشرة سنة، وعندي من هو أكبر منه؟! فأجابه أرميا:

لأنه يأتي من ولده محمد آخر الأنبياء.

حقًا إنه طلبٌ عجيب، ولكن أرميا وعد عدنان بأن يعود معد إليه سالمًا غانمًا، وأن يعلّمه دين إبراهيم الخليل.. هنا تنفّس عدنان الصعداء، وسمح له باصطحاب ولده معه وودّعهما في ذهول، حينما ركبا هذه الدابة العجيبة المنبعث منها ضياء من النور، والتي أوصلته إلى بيت المقدس في التوّ واللحظة.

بعدما أخذ أرميا معد بن عدنان معه كتب إليه نسبه إلى إبراهيم في مخطوطٍ، ووضعه في خزينةٍ عنده، ثم دفعه إلى «باروخ» كاتبه؛ ليعلّمه الكتاب والحكمة(3)..

وفي عالم موازٍ.. وفي أرض بابل... هل تعرفون ماذا حدث لبني إسرائيل؟؟

حقبةٌ جديدة تدور أحداثها بعد سنواتٍ طويلة من سبي دانيال، وتدمير الهيكل كليًا.. وهكذا تبددت آمال بني إسرائيل المسبيين في بابل من الرجوع أو العودة إلى أوطانهم.. واضطروا إلى العيش في بوتقة خارطة العالم الجديد... عالم التفتح والتمدن والعلوم.

وهنا تبدأ رحلة دانيال، حيث الشيفرات التي ترجمها الحاخام أليعازر عام ١٩٤٧.. والتي تحققت وما زالت تتحقق إلى الآن!

والآن استمعوا وانتبهوا، العالم ليس كما نعتقده، المعرفة التي سوف أقدمها لكم ستودي بكم لطريق مختلف يا سادة، طريق لا أضمن لكم نتائجه، مملكة السحر الأسود كله فشل في أن ينقذني، وها أنا ذا أجلس أنتظر نهايتي، ولذا وجب عليّ السؤال.. هل أنتم متأكدون من أنكم تريدون الإكمال؟ حسنًا.. لنكمل إذن!

إحدى عجائب الدنيا السبع

ما زال دانيال يتذكر ساعاته الأولى في قصر نبوختنصر جيدًا، حيث رأى النعيم رأي العين.. غرف واسعة للغاية.. نوافذ ضخمة انسدلت منها ستائر حريرية ملونة طُرِّزت حوافها بنقوش مذهبة، أثاثٌ ذهبيٌ وزخارف جدرانية عليها صور التنانين الأسطورية.. تماثيل رخامية.. ورودٌ تفوح بروائحٍ عطرة.. وظنَّ أصحاب دانيال أنهم في قطعة من الجنة.

لقد اندهش دانيال ورفقاؤه الثلاثة من مهابة القصر المهيب، وبنايات بابل العظيمة.. نعم إنها بناياتٌ عظيمة جدًّا..

حدائق بابل المعلقة.. إحدى عجائب الدنيا السبع في العالم القديم، وهي العجيبة الوحيدة التي يُظن بأنها أسطورة، ويُزعم بأنها بُنِيت في المدينة القديمة بابل وموقعها الحالي قريب من مدينة الحلة بمحافظة بابل، بالعراق، حدائق بابل المعلقة ليست هي ذاك المبنى المميز الوحيد الذي كان موجودًا في بابل، لقد كانت أسوار المدينة والمسلة التي نُسِبت إلى الملكة سميراميس أيضًا من عجائب المدينة.

نُسِبت حدائق بابل المعلقة إلى الملك البابلي نبوختنصر الثاني، الذي حكم بين العامين ٥٦٢ و٦٠٥ قبل الميلاد. وذكر أن سبب بنائها هو إرضاء زوجته، والتي كانت ابنة أحد قادة الجيوش التي تحالفت مع أبيه، والذي بذل الجهد الكبير في قهر الآشوريين. وكانت تدعى أميتس الميدونية، والتي افتقدت المعيشة في تلال فارس، وكانت تكره العيش في مسطحات بابل. لذلك قرر نبوختنصر أن يُسكنها في مبنى فوق تلال مصنوعة بأيدي الرجال، وعلى شكل حدائق بها تراسات.

وسبب بنائها أنّه أراد أن يرضي زوجته التي كانت تسمى أميتس الميدونية أو يقال إنها سميراميس..

ويُذكر أن ارتفاع هذه الحدائق الجميلة، والتي بُنِيت على ارتفاعات من صنع البشر وليس من صنع الطبيعة، وبلغ ارتفاعها ١٠٠ متر وتمت إحاطتها بسور سميك حصين يبلغ سمكه نحو ٧ أمتار، وكانت الحدائق على شكل طوابق فوق بعضها، وتم الاتصال بها من خلال سلالم وأدراج صُنِعت خصيصًا لهذا الأمر، وتم عمل أحواض جميلة للورد والزهور لتزيينها. أما العجيب في هذا الأمر فهو طريقة توصيل الماء لهذه الحدائق ويأتي هذا الماء من نهر الفرات، وذلك بواسطة

مضخات تضخ حوالي ٣٧ ألف لتر من الماء يوميًا.

نبوختنصر في إحدى الكتابات المنقوشة على جدار بوابة عشتار:

أنا نبوختنصر باني هذه الأسوار.. أنا نبوختنصر باني هذه البوابات.. وأنا الذي أوصلت إليها المياه من تحتها، وأنا الذي وضعت فيها الحجارة الزرقاء الصافية، وأنا الذي بنيت الغرف داخل السور، وأنا الذي نقشت صور الثيران والتنانين في السور، وأنا الذي زينتها بهذه الأشكال الجميلة؛ لكي تتمتع البشرية برؤية هذا المنظر المهيب.

نبوختنصر والبراجماتية

بعدما أسر الإمبراطور نبوختنصر صفوة بني إسرائيل استخدم الإمبراطور أسلوبه البراجماتي النفعي؛ لكي يكسب قلوب الصفوة من بني إسرائيل إليه بتربيتهم في القصر وإغداق المال عليهم؛ حتى يعيشوا حياةً مرفهة، ويأكلوا من أكل الملوك.. حتى غيَّر أسماء رفقاء دانيال إلى أسماء كلدانية: (شدرخ وميشخ وعبدنغو)؛ كي يقطع أي صلة بينهم وبين هويتهم..

وكذلك عمل نبوختنصر على تعليمهم وتأهيلهم؛ حتى يكون ولاء هؤلاء الصفوة المنتخبة من أحفاد الأنبياء والملوك إليه، حتى إذا رجعوا لأوطانهم كانوا رسل سلام ومحبة لإمبراطورية بابل..

إنها السياسة الذكية في أبهى صورها، ولكن يبدو أن هناك مشكلة قد واجهت دانيال ورفقاءه الثلاثة!!

ويدور حوار لطيف بين دانيال ورفيقه عزريا..

يقول عزريا: ترى يا دنيال ما نحن فيه! نعيش وسط أقوامٍ

يعبدون الآلهة الباطلة، ويؤمنون بالسحر والكهانة!

فيردُّ دانيال قائلًا: أجل يا عزريا، فنحن هنا في بابل المدينة العظيمة الغارق أهلها بالإيمان بالسحر والنجوم، إنهم مأسورون يا عزريا.. مأسورون تحت وطأة النجوم والسحر والكهانة، ألا تذكر يا عزريا الملكـين هاروت وماروت؟ فأجاب عزريا مسرعًا: أجل يا دانيال إنهما الملكان اللذان نزلا هنا في بابل منذ قرون طويلة، وعلَّموهم السحـر وظلَّ الناس في الضلال بسببهما.

أجاب دانيال: أصبت وأخطأت في آن واحدٍ يا عزريا.. نعم هما ملاكا الرب اللذان أرسلهما؛ كي يعلما الناس بعض الأسحار التي تقيهم من السحر، أو أن يفكُّوا سحر الأشرار من الكهان، ولكن الشياطين أخذوا هذا النافع، وجعلوه سحرًا خالصًا، وعلَّموه لبني البشر، حتى إن الظلَمة من بني إسرائيل تعلَّموا ذلك، وكم نهاهم أنبياؤنا عن ذلك، يا عزريا إن الملكين كانا فتنةً لبني البشر إذ قالا للناس: أيها الناس لا تأخذوا بالسحر، وإن علمناكم بعضًا منه فإنه كفر.

فلا يجوز لنا البتة أن نُجاري أهل هذه المدينة فيه

أجاب عزريا: وما العملُ إذن يا دانيال؟

قال دانيال: العمل ما فعله أجدادنا من الأنبياء والقديسين، أتذكر ما وقع ليوسف النبي؟ أرادوه أن يدخل في دِين الملك، فرفض يوسف، وحق لنا الآن أن نرفض إن كنا من المخلصين المستخلصين؟! فما أشبه الليلة بالبارحة.

فقال عزريا: وما نفعل في الطعـــام؟ إن بعض أطعمتهم مذبوحة للأصنام أو لحم خنزير. فإن أكلناه أثمنا، وإن تركناه هلكنا.

أجاب دانيال: لا نأكل طعامهم، وإن هلكنا، نعم بوسعنا أن نأكل من باب العذر، لكن لا ينبغي أن نفعل ذلك ونحن أحفاد الأنبياء والقديسين، كن على يقين يا عزريا أن الله سوف يجعل أجسادنا في أحسن بنية حتى وإن لم نأكل من طعامهم.

والآن يا رفاق لنعِدْ رسم خارطة العالم سويًا..

إعادة رسم خارطة العالم الجديد

إنه العالم الجديد وإعادة رسم خارطته! إنها الحضارة والمدنية.. إنها القصور والعلوم، ألا ترى حدائق بابل المعلقة بمضخات مياه تدل على تقدُّمٍ في العلوم والهندسة والرياضيات؟

حدائق بابل المعلقة عجز العقل الحديث عن تفسيرها إلى حد أن ساقوا حولها الأساطير.. ألا ترى معي المدنية في أبهى صورها؟ هل ما زلت يا دنيال تفكر في وصايا سليمان وأرميا؟

حقبة جديدة تدور أحداثها بعد سنوات طويلة من سبي دانيال الذي تم سنة ٦٠٥ قبل الميلاد، وتبعه سبي آخر ليهوذا سنة ٥٩٧ قبل الميلاد، ثم السبي الثالث والأخير والذي تم فيه تدمير أورشليم والهيكل تمامًا عام ٥٨٦ قبل الميلاد.

إلا أن دانيال كان متيقنًا من أنه بعد ٧٠ سنة سوف يعود إلى أورشليم مستوحيًا كلام النبي أرميا: (لأنه هكذا قال الرب: إني عند تمام سبعين سنة لبابل، أتعهدكم وأقيم لكم كلامي الصالح، بردِّكم إلى هذا الموضع).

بنو إسرائيل يأكلون طعام نبوختنصر

في مثل تلك الأزمات التي تعصف بحياة الأفراد والشعوب تتباين ردود الفعل، فمنهم من يرمي الماضي وراء ظهره، ويبذل قصارى جهده كي يندمج في المجتمع العالمي الجديد، ومنهم من يزداد رسوخًا بمبادئه وتعاليـمه.

وكان مئات الفتيان من السبي قد تغيرت أسماؤهم، وأسعدهم أن يأكلوا من طعـام الملك، ويشربوا من خمره، دون أن يفكر أي منهم في الاعتراض.. أما دانيال فقد قرر أن يعترض!

دانيال يعترض

قرر دانيال بكل شجاعة أن يقدم اعتراضه إلى رئيس الخصيان - المسئول عن تربية الأولاد - فتوجّه إليه بأدبه الجمّ طالبًا ألا يتنجس بهذه الأطعمة.

رغم أن ردّ فعل رئيس الخصيان كان الرفض، فإنه كان لدانيال من المهابة في عيني رئيس الخصيان ما جعله يحترمه، ولا يزجره، بل شرح له أن الأمر أكبر منه بكثيـر،

فإذا رأى نبوختنصر هؤلاء الفتية أهزل من غيرهم، فسوف يكون عقابه هو القتل، وما أسهل القتل عنده.

وهكذا أدرك دانيال أن الأمر الذي يطلبه ليس بيد رئيس الخصيان، ولكن دانيال لم تفتُرْ عزيمته.. فهل سيفعلها ويطلب من الملك؟!

قرر دانيال أن يعيش على أكل القطاني (وهي المزروعات والبقول)، وتعاهد مع رئيس السقاة أن يجربهم عشرة أيام، وأكد له أن بنية أجسادهم سوف تكون أقوى من غيرهم.

فقال رئيس الخصيان لدانيال: إنيّ أخاف من سيدي الملك الذي عيَّن طعامكم وشرابكم.

فقد يرى وجوهكم أهزل من الفتيان الذين من جيلكم، فتديِّنون رأسي للملك؟!

فقال دانيال لرئيس السقاة الذي ولّاه رئيس الخصيان على دانيال وحنانيا وميشائيل وعزريا: «جرِّب عبيدك عشرة أيام، فليعطونا القطاني لنأكل وماءً لنشرب، ولينظروا إلى مناظرنا أمامك، وإلى مناظر الفتيان الذين يأكلون من أطايب الملك،

ثم اصنع بعبيدك كما ترى».

فسمع لهم هذا الكلام، وجربهم عشرة أيام.

هل أنت مختلف؟!

نعم.. إن القوارب تسير بسهولة شديدة عندما تُبحر في اتجاه الريح.. أما مسيرها عكس الريح فهو أمرٌ عسيرٌ جدًّا يحتاج إلى جهد وخبرة. وهكذا جرى العرف أن نساير التيار؛ حتى لا نتعب.. ونحن نحيا في العالم، ولكننا لسنا منه.. فلهذا نحن في الطبيعة مختلفون، ولكن الشيطان يحاول بكل قوته أن ينسينا هذا الاختلاف، ويجعلنا نسلك كبقية أهل العالم مقنعًا إيانا بأنه لا يجب أن نشذَّ عن الجميع، وللأسف لقد نجح بهذه الحيلة مع الكثيرين، فأقنعهم بأن الأغلبية لا بد وأن تكون ذات رأي صائب، فلماذا نحن ضد التيار؟!

بعد ثلاث سنوات من العيش في قصر الملك.. يأمر الملك أن يختبر كل من كانوا يتعلمون في القصر..

فوجد أن دنيال ورفقاءه يتميزون في الدراسة والذكاء ما يفوق غيرهم بعشرة أضعاف.

حلم نبوختنصر والتمثال العجيب!!

في ليلة من ليالي الشتاء الممطرة.. تتدفق قطرات المطر

المتسارعة، وكأنها حبات حصى يسابق بعضها بعضًا، تصطدمُ بالأرض كدقات طبول مخيفة، وأصوات الرعـد تتعالى كأصوات وحوش متحاربة ونور البرق يتلألأ في السماء.

يصحو الملك نبوختنصر مفزوعًا من على سريره الكبير من رؤيا غريبة.. رؤيا تكررت له كثيرًا، ولكن تكرارها أعطى له يقينًا بأن فيها رسالة من قوة عظيمة لا يعلمها؟!

قوة أكبر منه ومن مملكته.. قوة تتحكم في العالم كله.. رسالة من العالم الآخــر يريدونه أن يعلمها، ولذلك تكررت وتتكرر، هذا الحلم أطار النوم من عينيه طوال الليل.

نبوختنصر هو ذاك الملك الذي يُشابه ملوك ذلك العصر الذين يعتقدون في السحرة والعرافين، ولذلك امتلأت مملكته بهم؛ ليُعرِّفوه بالمستقبل، ولذلك فما أن أشرقت الشمس، حتى أسرع بإصدار أمر ملكي يستدعي فيه كل السحرة والعرافين.

انزعج السحرة والعرافون من هذا المرسوم الملكي.. ترى ما هو هذا الأمر الجلل الذي حدث؟ فأسرعوا فورًا للمثول أمام الملك الذي كان ينتظرهم على أحرَّ من الجمر؛ ليطلب منهم ما

لم يتوقعوه أو يتخيلوه!

فهو لم يطلب منهم تفسير حُلمه! بل يطلب منهم أن يعرفوا ما هو حلمه أولًا، ثم يُفسرونه.

فإن نجحوا فالمكافأة ستكون كبيرة، وإلا فلن يكتفي بسجنهم، بل بإعدامهم.

يا له من امتحانٍ صعب..

إن نبوختنصر رجلٌ ذكيٌ، فهو يريد أن يعرف ما مضمون تلك الرؤيا التي رآها، وفي نفس الوقت لا يريد أن يذكر تفاصيل الحلم أمامهم؛ حتى لا ينسج أحد العرافين أي تفسيرٍ من وحي خياله، ويضيع على الملك التفسير الصحيح للرؤيا، ويفوز الكاهن بالجائزة وهو لا يستحقها.

لقد اعتاد الطلبة أن يواجهوا بعض الأسئلة الصعبة أو الامتحانات الصعبة، أما ما لا يراودهم في أسوأ الكوابيس هو أن يطلب الممتحن أن يخمنوا السؤال الذي في ذهن ممتحنهم.. ثم يجيبون عنه!

والوقت المتاح للإجابة ليس طويلًا.. والعقوبة ليس رسوبًا بل إعدامًا..

أجاب الكهنة الكلدانيون أمام الملك: «ليس على الأرض إنسان يستطيع أن يُبين أمر الملك. لذلك ليس ثمة ملكٌ عظيم ذو سلطان سأل أمرًا مثل هذا لمجوسي أو ساحر أو كلداني، والأمر الذي تطلبه أيها الملك عسير، وليس آخر يُبينه قدام الملك غير الآلهة الذين شكناهم ليس مع البشر»!

هكذا كان جواب الكهنة الكلدانيين أن هذا الأمر لا يستطيع إجابته غير الآلهة الذين لا يسكنون مع البشر.

قرار إعـدام!

اشتدَّ غضب الملك، وأمر بتنفيذ قراره بإعدام الكهنة والحكماء فورًا، وكلف «آريوخ» رئيس الشرطة بتنفيذ حملة إبادة لحكمـاء بابل.

وارتعب «آريوخ» من غضب الملك وثورته العارمة، ولم يجرؤ على مناقشة الملك أو استعطافه، وكان عسيرًا عليه أن يقتل حكماء بابل دون ذنبٍ اقترفوه أو جُرمٍ فعلوه، ولكنه في نفس الوقت يعلم أنه إذا تراخى فقد يدفع حياته هو شخصيًا للموت، فهو يتعامل مع من لا يرحم ولا يتفاهم!

ورغم أن دانيال لم يُطلب منه بشكل مباشر هذا الأمر - أي معرفة الحلم - فإن نبوختنصر اعتبر دانيال من جملتهم؛ لأنه من جملة الحكمـاء أيضًا.

وهكـذا ذهب آريوخ مُرغمًا ليُعدّ قائمة الإعدام التي شملت بدورها دانيال ورفقاءه.

وبالفعل بدأ تنفيذ الإعدام لبعض الحكماء، فلما جاء الدور على دانيال ورفاقه، طلب من آريوخ أن يمهله قليلًا،

والعجيب أن آريوخ لم يحتدَّ على دانيال؛ لما له من المهابة في عينيه، ما جعله يقبل مهلته على العكس من سابقيه ممن أُعدِموا.

أنبأ آريوخ الملك أن دانيال يطلب مهلة، وسوف يعرف الحلم كما رآه الملك تمامًا، فلما دخل دانيال على الملك، تحولت ثورته إلى هدوء متعقل، وهو يقابل دانيال، ولعله تذكَّر أنه من الصفوة الذين امتحنهم وكانوا من الأذكياء.

كل هذا، وآريوخ يتعجب من التغيير المفاجئ الذي أصاب الملك، فأعطى الفتى مهلة لم يسمح بها لغيره!

دانيال يطلب أن يدخل على الملك

أجاب الملك وقال لدانيال:

هل تستطيع أنت أن تُعرِّفني بالحلم الذي رأيث وبتعبيره؟

واضح من هذا التساؤل يأس الملك من وجود إنسان قادرٍ على اكتشاف الحلم ومعرفة تفسيره. تحدث الملك مع دانيال، مؤكدًا استحالة تحقيق الأمر، هذا مجد الله بالأكثر، وأظهر عمله الفائق مع دانيال.

وهنا يقصُّ دانيال على الملك حلمه والرجاء يملأ قلبه ممتزجـًا باليقين بأن ما قصه عليه الملاك يوافق ما رآه الإمبراطور.

أجاب دانيال قُدام الملك وقال:

السرُّ الذي طلبه الملك لا تقدر الحكماء ولا السحرة ولا المجوس ولا المنجِّمون على أن يُبيِّنوه للملك.

لكن يُوجد إله في السماوات كاشف الأسرار، وقد عرَّف

الملك نبوختنصر ما يكون في الأيام الأخيرة.

يقول دانيال: أنت أيها الملك كنت تنظر وإذ بتمثال عظيم. هذا التمثال العظيم البهي جدًّا وقف أمامك، ومنظره هائل. رأس هذا التمثال من ذهب، أما صدره وذراعاه فمن فضة، وبطنه وفخذاه من نحاس.. ساقاه من حديد.. قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف.. كنت تنظر إلى أن قُطِع حجر صلد، فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما..

فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معًا، وصارت كعصافة البيدر في الصيف، فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلًا كبيرًا، وملأ الأرض كلها. هذا هو الحلم. فنخبر بتعبيره قدام الملك.

هنا احمرَّ وجه نبوختنصر، وجحظت عيناه وهو ساكت ساكنٌ في مكانه مصغيًا لدانيال لا يبدي أي انفعالٍ ولا ثمة حركـــة!

ثم استأنف دانيال قائلًا: أنت أيها الملك ملك ملوك؛ لأن إله

السماوات أعطاك مملكة واقتدارًا وسلطانًا وفخرًا.

وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفَعها لديك وسلَّطك عليها جميعها. فأنت هذا الرأس من ذهب.. وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس، فتتسلط على كل الأرض.. وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد؛ لأن الحديد يدقُّ ويسحقُ كل شيء. وكالحديد الذي يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء..

وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد، فالمملكة تكون منقسمة، ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطًا بخزف الطين، وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف، فبعض المملكة يكون قويًا والبعض قصمًا.

وبما رأيت الحديد مختلطًا بخزف الطين، فإنهم يختلطون بنسل الناس، ولكن لا يتلاصق هذا بذاك، كما أن الحديد لا يختلط بالخزف.

وفي أيام هؤلاء الملوك، يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبدًا، وملكها لا يُترك لشعب آخر، وتسحق وتفني كل

هذه الممالك، وهي تثبت إلى الأبد؛ لأنك رأيت أنه قد قُطِع حجر من جبل، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب. الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتي بعد هذا. الحلم حق وتعبيره يقين.

حينئذ خرَّ نبوختنصر على وجهه وسجد لدانيال، وأمر بأن يقدِّموا له تقدمة وروائح سرور.. فأجاب الملك دانيال وقال: حقًا إن إلهكم إله الآلهة ورب الملوك وكاشف الأسرار، إذ استطعت كشف هذا السر.. حينئذ عظَّم الملكُ دانيال وأعطاه عطايا كثيرة، وسلَّطه على كل ولاية بابل، وجعله رئيس الشحن على جميع حكماء بابل.. فطلب دانيال من الملك، فولى شدرخ وميشخ وعبدنغو على أعمال ولاية بابل.

والآن.. لنرى ما رآه ونحلم..

فك شيفرة الرؤيا

في الحلم رأى تمثالًا عظيمًا يبدأ من أعلى بأحجار عظيمة الثمن، فالرأس من الذهب الخالص، ولكنه كلما نزل إلى أسفل تقلُّ قيمة العنصر وجودته.. فالصدر والذراعان من الفضة، والبطن والفخذان من النحاس، أما الساقان فمن الحديد الذي يختلط بالخزف أو الطين عند القدمين، وفجأة ظهر حجر عظيم ليضرب القدمين اللتين من حديد وخزف، فسحقهما فتحطم التمثال كله، ثم صار هذا الحجر إلى جبل ضخم ملأ الأرض كلها أو معظمها، ولم ينتظر دانيال تعليق الملك على كلامه، بل بدأ على الفور بتفسير الحلم، وكأنه متأكد أن كلامه عن الحلم صحيح.

فك الشيفرة تاريخيًا

قال دانيال: إن الرأس الذهب من التمثال هو مملكة بابل التي يحكمها نبوختنصر، وكانت هي أعظم الممالك وقتئذ، وقد بدأت مملكة بابل عام ٦٢٥ قبل الميلاد، حينما تولى نبوبلاصر (أبو نبوختنصر) متخلصًا من حكم الآشوريين، ثم يتبعها مملكة تمثل الذراعين والصدر الفضي، وبحسب التاريخ فإن المملكة التي تلتها هي مملكة فارس ومادي سنة ٥٣٨ قبل الميلاد الذي انتصر على بيلشاصّر البابلي (حفيد نبوختنصر)، وفي زمن الفرس عاد اليهود المسبيون إلى وطنهم الأصلي، ولكن مملكة فارس لم تكن بقوة مملكة بابل - في قوتها القديمة - ولذلك كانوا يمثلون الفضة في الحلم.

ثم تسقط فارس بعدما ظلت قرنين من الزمان.. سقطت على يد الإسكندر الأكبر سنة ٣٣١ قبل الميلاد، وأنشأ مملكة اليونان، والتي تمثل الفخذين النحاسيين، ثم تأتي مملكة رابعة تمثل الساقين والقدمين الحديد.. نعم.. إن الحديد يمثل القوة والقسوة.. إنها مملكة الرومان.. والتي أطاحت بكل من قبلها، وانتزعت الملك من اليونانيين عام ١٦٨ قبل الميلاد.

وكانت سياسة الرومان هي الاستعمار وعدم الاختلاط مع الشعوب التي فتحوها، كما لا يختلط الحديد بالخزف أو الطين كما جاء بالرؤيا، أو أن الخزف الذي بنهاية القدم فيه دلالة على ضعفها في أواخرها.

أما الساقان كما قال دانيال بنفسه دلالة أنها تنقسم لإمبراطوريتين، وقد وقع ما قاله دانيال تمامًا، حيث قام أوكتافيان بتقسيم الإمبراطورية الرومانية عام ٢٨٦م؛ وصار النصف الآخر من الإمبراطورية الرومانية يُعرف باسم الإمبراطورية الرومانية الشرقية، ويُعرف اليوم على نطاق أوسع بالإمبراطورية البيزنطية (البيزنطيين).

ثم يأتي حجر يكسر القدمين الحديد، ويتحول إلى جبل يحتوي كل هذه الممالك وينتشر في الأرض.

نعم إنها مملكة عظيمة تسيطر على معظم أنحاء المعمورة وتستحوذ على كل هذه الممالك، وملكها لا ينتهي.

فهل تحققت نبوءة دانيال؟!

سقط الرومان بسقوط أرمينية الرومانية على يد المسلمين

سنة ٦٣٨ ميلادية.. ثم خاض خالد بن الوليد وأبوعبيدة بن الجراح حروبهما ضد الرومان، واستحوذا على الشام عام ٦٤٠م، في الوقت الذي خاض فيه عمرو بن العاص حروبه ضد الروم البيزنطيين، واستحوذ على مصر عام ٦٤١م، ثم الزحف إلى ليبيا وبلاد المغرب على يد عقبة بن نافع؛ للاستيلاء على باقي الأراضي البيزنطية.

لو كان الأمر توقف على ذلك لكان هذا الحجر الذي ذكره دانيال مجرد «حجر» كسر القدمين (الرومان) وفقط!

ولكنه لم يكتفِ بذلك.. بل ذكر أن هذا الحجر قد تحوّل إلى جبل استحوذ على التمثال كله، والذي يضم بابل العراقية وهو الرأس الذهبي، ومنها مملكة فارس ومادي وهو الصدر واليدين.

فهل حدث ذلك كلـــه؟!

نعم، لم يتوقف الأمر بهزيمة الروم، بل قام خالد بن الوليد ومن بعده سعد بن أبي وقاص بفتح العراق وفارس، ثم تتابعت الفتوحات إلى أذربيجان والهند وباكستان، حتى وقف المسلمون أمام سور الصين العظيم في عهد الخليفة

عبد الملك بن مروان.

ثم ما لبثوا أن اخترقوه بقيادة «قتيبة بن مسلم»، حتى طلب ملك الصين منهم العفو والرضوخ للمسلمين على أن يدفع لهم الجزية.

وهو نفس الوقت الذي فتح فيه طارق بن زياد إسبانيا والبرتغال (الأندلس)، ثم توغل في جنوب فرنسا حتى وصل شاطئ الريفيرا ومارسيليا.

وما لبث أن جاء الأمر من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بالانسحاب والاكتفاء بالأراضي المفتوحة من أوروبا؛ حتى لا يفقدوا الأراضي التي فتحوها.

نعم.. لقد جاء الوصف دقيقًا.. حينما تمثلت هذه المملكة بالجبل الذي أزاح التمثال كليًا.. أجل، أزاح جميع الإمبراطوريات في حلم نبوختنصر، واستحوذ على كل هذه الممالك، وجاء تفسير دانيال أدق.. حينما قال إن تلك المملكة تهزم المملكة الحديدية المنقسمة، ثم تنسف التمثال كليًا.

نعم إن هذا الحجر قد تكلم عنه المسيح أيضًا قائلًا: «أوما

قرأتم قط في الكتب؟! الحجر الذي رفضه البناؤون، هو قد أصبح رأس الزاوية.. ولذلك الحق أقول لكم: إن ملكوت السماوات يُنزع منكم، ويُعطى لأمةٍ تعطي إثماره».

هكذا قال المسيح عليه السلام لكهنة بني إسرائيل.. متحدثًا عن الحجر الذي سيكسر جميع الإمبراطوريات.. وينزع منهم النبوءة.

نعم أيها السادة.. لقد تحققت النبوءة! اسمع معي صوت نبوءة داوود في المزمور.. حيث يدوِّي صوته.. في سفره المسمى عند اليهود بـ«سفر المزامير» عن مملكة نبي آخر الزمان قائلًا: (تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار، وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة والبر. نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك. شعوبٌ تحتك يسقطون).

وتحققت نبوءة أشعياء النبي حيث قال في سفره: (لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته.. لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين، من بيت السجن الجالسين في الظلمة.. لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا..).

وقيدار المذكور بالنبوءة هو جد العرب، وحفيد سيدنا إسماعيل، وإليه ترجع كثير من بطون العرب، و»الديار التي سكنها قيدار» هي الحجاز بالجزيرة العربية.

و»سالع» هي منطقة بجوار المدينة المنورة، وفيها جبل «سالع» أو «سلع».

تذكر جيدًا الشيفرات التي قرأها الكاهن أليعازر على مخطوطة دانيال عام ١٩٤٧، كان أولهـا الحجر الذي تحول إلى جبل، وتبقى لنا ثلاث شيفرات لم نتعرض لهـا بعدُ.

لكن على كل حال، تعالَ لنكمل علّنا نجـد إجابة.

اقتربوا أكثر ولا تهابوا الظلال الراقصة، هي نذير باقتراب زائر الرحلة الأخيرة فحسب، الموت بنفسه قادم إليّ، وأنفاسي تتسارع الآن، أتمنى أن يكفيني ما ادّخره لي القدر من وقت؛ كي أكمل حكايتي.

ولسوف أبدأ معكم بسجدة الإمبراطور.

الإمبراطور يسجد لدانيال

لم يكن أمام الإمبراطور الجبار الذي يجثو أمامه الأمراء والملوك إلا أن يسجد أمام دانيال.. نعم يسجد معترفًا بإله دانيال في مشهد أذهل كل الحاضرين ويا للعجب من ملك يخافه ملوك الأرض أن يخضع.. ملك لا يتفاهم.. فالأمر عنده هو الأمر، ولا مجال للنقاش فيه! ملك كان يستعد لقتل باقي الحكماء والكهنة.. كيف لهذا الإمبراطور أن يخضع!

اعترف الإمبراطور بإله دانيال، ولكنه ومع ذلك كان يقول إن هذا الإله هو إله دانيال فقط (!) ولم يعترف بعدُ بأنه إله الجميع.

كافأ الملك دانيال وعيَّنه في منصب رئيس الوزراء، وعيَّن رفقاءه على أعمال ولاية بابل.

رفقاء دانيال في الأتون

هل تخلى نبوختنصر عن كبريائه؟! للأسف لم يتغير، بل لعله أخذ يفكر في الحلم متسائلًا كيف ستضعف إمبراطورية بابل العظيمة؟ ووجد أن السبب المحتمل للضعف هو أن هذه الإمبراطورية تتكون من شعوب كثيرة لم تنصهر في بوتقة اللغة والتاريخ والدين وسائر العوامل التي تساعد على وحدة الشعب؛ للحيلولة بين سقوط الإمبراطورية وتحقيق الحلم، فهذه العوامل إن وُجِدت، قد لا تمنع سقوط مملكته.. إنما قد تزيد من عمر مملكته على الأقل، هكذا يفكر هذا الإمبراطور الذي تمتع بذكاءٍ ودهاء، إلا أن ذكاءه ودهاءه لا يستطيع أن يقف أمام طوفان الأقدار.

ورغم أنه كان يبذل قصارى جهده لفرض لغة الكلدانيين على جميع الشعوب الخاضعة لسلطانه، فإن اختلاف الأديان يظل عقبة تعوق خطته.. لذا فقد رأى أن الحل الأمثل هو توحيد الأديان عن طريق تقديم نموذج لإلهٍ واحد.. نموذج جديد مبهر للآلهة، لا يستطيع أي شعب أن يقدمه.

واستوحى الفكرة من التمثال الذي رآه في الحلم، ولكن مع جعل التمثال كله من الذهب؛ حتى لا يكون له منافس،

وإجبار الجميع على السجود له.

هكذا هو الإنسان إذا رأى ما به من قوة لا يتصور أن يكون في مصيبة أبدًا.. ولكن هل يسعفه ذكاؤه!

للأسف قد تناسى الإمبراطور ما صنعه الله معه، وبدلًا من أن يستمر في الشكر نسي كل شيء، ورجع إلى خطاياه وكبريائه كأن شيئًا لم يكن.

الإله الذهبي

أمر نبوختنصر بصنع الإله الجديد.. كان المشهد مهيبًا.. فالتمثال ضخمٌ جدًّا وارتفاع ٣٠ مترًا أي ما يوازي عمارة سكنية مكونة من ١٠ طوابق، وكله مصنوع من الذهب الخالص.

وتواترت الأنباء داخل الإمبراطورية عن الاحتفال المزمع أن يكون، ووجهت الدعاوى - أو بالأحرى الأوامر - إلى حشدٍ من كبار رجال الدولة ممثلين عن جميع الشعوب التي يحكمها الملك نبوختنصر؛ ليكون سجودهم جميعًا بمثابة إعلان عن الولاء والطاعة له، وبداية العبادة الجديدة التي تلغي سائر الأديان.

ولا شك أن كل المدعوّين قد عرفوا غرض الدعوة، ولم يكن أمامهم بُدٌّ من الرفض، فرغبات الإمبراطور مقدسة، وعصيانه جريمة عظمى.

وتم توجيه الدعوة للفتية الثلاثة حنانيا وعزريا وميشائيل - رفقاء دانيال - وقد أصبحوا رجالًا تخطَّوا الثلاثين من عمرهم، يحتلون مراكز مرموقة يحسدها عليهم أهل البلاد

أنفسهم.

لكن لم توجه الدعوة لدانيال.. ولا يُعرف السبب لذلك، ولربما أدرك الإمبراطور أن دانيال هو الزعيم الروحي لليهود، وأنه لن يسجد لغير الله، ولذلك فضَّل ألا يدعوه؛ حتى لا يُفسد عرُس ذلك الاحتفال بعناده المعتاد.

ولكن حنانيا وعزريا وميشائيل اجتمعوا واتفقوا على ألا يسجدوا للصنم..

وكان انعكاس أشعة الشمس على التمثال كفيلًا بأن يُبهر عقل أكثر الرجال رزانةً، وفي حضور معظم كبار رجال الدولة بدأ الاحتفال، وانطلق صوتٌ جهوري يشرح للحاضرين واجبهم عندما ينطلق صوت العزف، فإثبات الولاء لا يكون إلا بالسجود لهذا الوثن الذهبي الفريد!

وإذا كان مخالفًا أمر الملك في الظروف العادية يعاقب بالإعدام، فإن مخالف أمر الملك لإفساد هذا الحفل أمام كبار الدولة فإن عقوبته الحرق في أتون النيران (فرن ضخم جدًّا).

وانطلق العزف مدويًا ليخرَّ الجميع ساجدين خانعين لأوامر الملك، ومعترفين بالإله الجديد، ولكن وسط هذا الحشد الساجد ظلت هناك ثلاثة رؤوس مرفوعة شامخة؛ لأنها لا تسجد إلا للإله الواحد قدوس السماوات والأرض..

ولم يريدوا أن يكرروا خطأ بعض أجدادهم حينما سجدوا للعجل الذهبي، ففضَّلوا أن يدفعوا الثمن؛ ليثبتوا أنهم على عهد إبراهيم ويعقوب وموسى وداود ومن قبلهم آدم ونوح عليهم جميعًا السلام.

وشاية الحاقدين..

ولذلك أثارت الرؤوس الشامخة للأبطال الثلاثة غيظ الهامات المنحنية، فانطلقوا يستثيرون غضب الإمبراطور، وسنحت الفرصة للحاقدين - وما أكثرهم - للتخلص من هؤلاء المسبيين الذين أتوا سُباة ليحتلوا مراكز مرموقة في الدولة وليحرموا أهل البلد منها..

هكذا أسرعوا بتسميم فكر الملك، وتذكيره بأنهم تعمدوا إهانته أمام الناس، ولم يجعلوا له اعتبارًا، بالتأكيد لم يكن الإمبراطور بحاجة إلى من يزيد من غضبه، فقرر محاكمة الفتية فورًا..

والمثير للعجب أن هؤلاء الوشاة منهم من أنقذهم دانيال ورفقاؤه من الإعدام، حينما عجزوا عن معرفة الرؤيا، ولكن غيرتهم جعلتهم ينتظرون أول فرصة ليطعنوهم طعنة الغدر..

- استشاط الملك غضبًا فهو لا يحتمل أي إهانة لكبريائه، ولم يكن الملك يأبه كثيرًا لحرق هؤلاء العصاة المارقين فورًا ودون محاكمة، ولكنه كان يُمنّي نفسه بأن يعودوا ويعتذروا ليثبت للحضور أنه لا يوجد أحد يمتلك الشجاعة أو يجرؤ

على مخالفته.

وفي غمرة الغرور والكبرياء نسي نبوختنصر نفسه وصرخ في وجه الفتية قائلًا: (من هذا الإله الذي يُنقذكم من قبضتي، من ذا الذي ينقذكم من أتون النار الذي ينتظركم؟).

يا لها من كلماتٍ تفيض بالعجرفة، ولكنه سيعرف الإجابة في نفس اليوم، وسوف يندم عليها بقية عمره.

فأجابوا: لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر، هو ذا يوجد إلهُنا الذي نعبده يستطيع أن يُنجينا من أتون النار المُتقد، كما أنجى أبانا الأكبر إبراهيم من النيران، وهو وحده قادر أن يُنقذنا من يديك.. وإلا فليكن معلومًا لك أيها الإمبراطور أننا لا نعبد آلهتك، ولا نسجد لتمثال الذهب الذي نصبته.

لم يستطع الملك المتكبر أن يقبل رفض أوامره، ومِمَّن؟! من فتيةٍ من سبي يهوذا؟!!

إذًا سوف يُريهم سلطانه وبطش غضبه؛ حتى يتعلم الآخرون الطاعة العمياء. ومن فرط غيظه أمر بزيادة كمية الوقود في الأتون سبعة أضعاف عن المعتاد..

وارتفعت ألسنة اللهب متراقصةً في انتظار الفريسة التي سوف تلتهمها.

ثم أصدر الملك أوامره إلى جبابرة الجنود كي يوثقوا الرجال جيدًا، ويلقوهم في وسط النيران. وفي لحظاتٍ قليلة فتح الجنود باب الأتون ودفعوا الرجال الثلاثة.. وفي الحال.. دوَّى صراخ بشع..

رفقاء دانيال في النيران

لكن هذا الصراخ لم يكن صراخ الرجال الثلاثة - رفقاء دانيال - بل كان صراخ الجلادين الذين أمسكت بهم النيران من شدة الحرارة اللافحة المنبعثة من الأتون فقضت عليهم، وإذا كان هذا هو الحال خارج الأتون، فما بالكم بمن بالداخل؟!

وبعد أن مرَّت صدمة احتراق الجلادين الذين دفعوا حياتهم ثمنًا لغطرسة الملك.. انتظر الجميع سماع صراخ رفقاء دانيال الثلاثة، لكن هذا لم يحدث، بل رأى الملك أربعة يتمشون في وسط الأتون، وجحظت عينا الملك وانتفض.

قال نبوختنصر: لا بد وأن الرابع هو ابن الآلهة، وهو في الحقيقة ملك أرسله الله ليحميهم من النيران.

ناداهم الإمبراطور بصوتٍ تردد صداه:

- يا شدرخ.. يا ميشخ.. يا عبدنغو - وهي أسماؤهم التي سماهم إياها - فخرجوا من وسط النيران

مرة أخرى!! الملك الذي هدد وتوعد وملأ الدنيا صراخًا وصياحًا منذ سويعات قليلة قائلًا: من هو ذا الإله الذي ينقذكم من قبضتي؟ الآن يعترف بإله الفتية الثلاثة، للمرة الثانية، وتقام عليه الحجة الإلهية مرةً أخرى!

وكانت المرة الأولى حينما أخبره دانيال بما حلم به وقام بتفسيره.

وأصدر الملك فرمانًا بالاعتراف بإله بني إسرائيل، وأن من يذكر إلههم بسوء سوف يُقتل ويدمَّر بيته.

ذهاب عقل الإمبراطور

رأى نبوختنصر رؤيا أخرى قِصَّتها تدور حول شجرة عظيمة بلغت إلى علو السماء في طولها، أوراقها جميلة وثمارها وفيرة، وتحتها استظلت الحيوانات وبين أغصانها سكنت الطيور، ومن ثمارها أكل جميع البشر، وفي وسط أشعة الشمس الممتلئة بظلام الأغصان والحشائش.. نزل ملَك من العالم الآخر.. وأمر بقطع الشجرة وبعثرة أوراقها وطرد الحيوانات من تحتها والطيور من بين أغصانها، ولكنه لم يأمر بقطعها من جذورها، بل أمر بترك ساقها في الأرض مع ربطه بقيودٍ من حديدٍ ونحاس.

وتحولت الشجرة بصورةٍ سحرية إلى إنسان أمر الملاك أن يتركوه بين الحيوانات ليبتل بندى السماء ويتغير قلبه، ويُعطى قلب حيوان، ويظل هكذا لمدة سبع سنوات؛ لكي يعلم الجميع أن الله العلي متسلط على ممالك الناس يُعطيها لمن يشاء. وانتهى الملك من رواية الحلم وانتظر التفسير من دانيال.

لقد كان التفسير واضحًا أمام دانيال الذي فزع من هول الرؤيا وتغير وجهه، فاعتدل الملك وطلب من دانيال أن

يخبره بالحقيقة أيًا كانت وكيفما كانت.

اضطر دانيال أن يخبر الملك بالحقيقة المُرة، وهي أن الملك هو نفسه المقصود بالشجرة التي بلغت عنان السماء - كنايةً عن ملكه - والتي تحولت لإنسان مجنون يعيش مع الحيوانات سبع سنين، وهذه هي العقوبة الإلهية؛ ليعلم نبوختنصر أن المُلك لله يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء.

دانيال طمأن الملك أن الله ترك أصل الشجرة موجودًا؛ أي أنه سوف يُعافى مرة أخرى ويعود إلى ملكه.

وطمأنه مرةً ثانية بلباقة قائلًا: فارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة، لعل ذلك التهديد لا يكون إن فعلت ذلك.

من الواضح أن دانيال كان يرتبط بصداقة مع الملك، فقدم له النصح بلينٍ ورفق.

مهلة ١٢ شهرًا

أمهلت القوة الإلهية الإمبراطور ١٢ شهرًا فقط ليقوم بالتوبة.. وعند نهاية اثني عشر شهرًا كان يتمشى الإمبراطور في قصر مملكة بابل. وأجاب الملك نفسه قائلًا: أليست هذه بابل العظيمة التي بنيتُها لبيت الملك بقوة اقتداري، ولجلال مجدي؟! نعم نسي ما قاله دانيال من التوبة، وما أسهل أن ينسى بنو الإنسان إذا أُعطوا من القوة والملك!

فما أن أكمل الملك الكلمة حتى وقع صوتٌ من السماء قائلًا: لك يقولون يا نبوختنصر الملك: أن المُلك قد زال عنك. ويطردونك من بين الناس، وتكون سُكناك مع حيوان البر، ويطعمونك العشب كالثيران، فتمضي عليك سبعة أزمنة حتى تعلم أن العليّ متسلطٌ في مملكة الناس، وأنه يُعطيها من يشاء.

أنا أراه بطرف عيني يقترب، عزرائيل بمنجله وقامته المنحنية، إنها النهاية يا رفاق، دعوني أسرع إذن في الكلام.

تنفيذُ الحكم

في تلك الساعة العصيبة.. وهذ الأمر الجلل.. تم الأمر على نبوختنصر، فطردوه من بين الناس بعدما جُنَّ عقله، وأكل العشب كالثيران، وابتلَّ جسده بندى السماء، وطال شعره مثل الأسود، وطالت أظفاره مثل الطيور.

ظل مرض نبوختنصر لغزًا غامضًا محيرًا، هل أصابه مسٌّ أم أصابه مرض نفسي وعضوي يجعل المريض هائمًا على وجهه معتقدًا نفسه حيوانًا، فينام في العراء، ويأكل الأعشاب، ويزحف على أطرافه الأربع، ويطيل شعره وأظفاره!

حتى إن المؤرخ الإغريقي «أبيدينوس» (٢٦٨ قبل الميلاد)، وهو يؤرخ لحكم نبوختنصر ذكر أن نبوختنصر تلبَّس بلعنة من أحد الآلهة، واختفى مباشرةً بعدها لبعض الوقت. ولكنه عاد مرة أخرى.

هذا المؤرخ الإغريقي ليس يهوديًا ولا مسيحيًا.. ولم يحدد الفترة الزمنية. فقط هو يوضح أنه تلبّس من أحد الآلهة أي عوقب من أحد الآلهة، ومرضه كان مرضًا عقليًا أو نفسيًا

واختفى لفترة.

ظل الملك على حاله سبع سنين، ثم رجع إلى رشده، متذكرًا ما حدث له، فرفع عينيه إلى السماء، وسبَّح الله القدوس، وعرف أن فوق كل جبارٍ جبار السماوات.

نهـاية مملكـة بابل

مات الإمبراطور نبوختنصر.. ذاك الإمبراطور العظيم.. نعم إن لكل سلطانٍ حكاية.. ولكل كبرياءٍ نهاية.. ولكل مملكة تطور، ولكل مملكةٍ تدهور من ضعفٍ.. ثم قوةٍ.. ثم ضعف.. هكذا هي سنن التاريخ.. بل سنن الحياة لمن فهمها.

مات نبوختنصر وتولى حفيده بيلشاصر الملك نيابةً عن والده نبونيدس الذي كان متغيبًا في تيماء الجزيرة العربية؛ للقتال مع العرب على قول بعض المؤرخين. وعلى كل حال فالحاكم الفعلي لبابل كان هو بيلشاصر ابنه.

ويُرجح المؤرخون أن بيلشاصر هو ابن ابنة نبوختنصر، هكذا تذكر السجلات البابلية القديمة، إلا أنهم اعتادوا في تلك الأزمنة أن ينادوه بابن نبوختنصر وليس حفيده؛ لأن الجد بمنزلة الوالد من الحفيد.

ولم يكن بيلشاصر في قوة وحكمة جده، بل كان شابًا ماجنًا يهتم بتنظيم الولائم العظيمة وحفلات شرب الخمور، والذي أدى إلى تدهور أحوال الدولة عسكريًا واقتصاديًا، في هذا الوقت أرسلت مملكة فارس ومادي (إيران حاليًا)

جيوشهم لتحاصر العاصمة بابل.. وأصبحوا على وشك اقتحامها.

وفي ظل هذا الموقف الحرج كان الملك المستهتر لا يشغله سوى صنع ولائم الخمر والمجون، حتى وصل به الفسوق أن يأمر بالإتيان بأواني النبي سليمان التي اصطحبها جده نبوختنصر من الهيكل، وأن يشرب فيها الخمر متعمدًا سبَّ الذات الإلهيـــة وإله بني إسرائيل بجهله.

واستنفد الملك مراحم الله بسخريته واستهزائه، فأرسل الله الردَّ في التو واللحظة، فقد رأى بيلشاصر يدًا سحرية تكتب على الحائط كلامًا بلغةٍ غريبة لم يستطع أحد قراءتها ولا تفسيرها..

فاستدعى بيلشاصر جميع الكهنة، والذين لم يستطيعوا قراءتها كذلك.

هنا.. تذكرت زوجة الملك أن هناك رجلًا عجوزًا ربانيًا كان مُهمًا في الدولة يدعى «دانيال»، وكان مقربًا من نبوختنصر، فأخبرت زوجها، الذي استدعى دانيال في التو واللحظة!!

ويا للعجب.. فإن بيلشاصر الذي كان منذ لحظاتٍ يسخر من إله إسرائيل، ويشرب الخمر في أواني سليمان، ترتعش فرائصه، ولا يقوى على الوقوف؛ بسبب هذه اليد الكاتبة، يا لضعف الإنسان! ولم يشأ الله أن يرسل جبرائيل ولا ملكًا ليعاقبه، فهو أصغر من أن يحظى بهذا الشرف، بل يكفيه أصابع ملَك تكتب مصيره أمامه علانية.

استدعى السلطان الجديد دانيال قائلًا له: أأنت هو دانيال من بني سبي يهوذا، الذي جلبه أبي الملك من يهوذا؟! قد سمعت عنك أن فيك روح الآلهة، وأن فيك نورًا وفطنة وحكمة فاضلة.. وقد أدخل قدامي الحكماء والسحرة ليقرؤوا هذه الكتابة ويُعرفوني تفسيرها، فلم يستطيعوا أن يُبينوا تفسير الكلام.

وأنا قد سمعت عنك أنك تستطيع أن تُفسر الأعاجيب وتحل الألغاز المُعقدة.. فإن استطعت الآن أن تقرأ الكتابة وتُعرفني بتفسيرها، فلتلبس - إذن - الأرجوان وقلادة من ذهب في عنقك، وتتسلط ثالثًا في المملكة.

كان دانيال كما عهدناه جريئًا في الحق، لم تضعفه السنون، ولم تفتَّ الشيخوخة في عضده، فرفض بكلِ حزم هدايا

الملك وأجابه إجابة قاسية: أن اجعل عطاياك لنفسك وهب هباتك لغيري.. ولكنا نُفسر الكتابة للملك.

وشتان بين لطف دانيال مع جده نبوختنصر، وبين صرامته مع حفيده المستهتر بيلشاصر؛ لأن جده مع عجرفته فكان عاقلًا باحثًا عن الحقيقة، أما هذا المستهتر فهو يعلم ما حدث لجده، ومع ذلك لم يتعظ واستهان بآنية بيت الله الذي بناه سيدنا سليمان عليه السلام.

كانت الشيفرة التي كتبتها اليد السحرية ثلاث كلماتٍ تحت بعضهنّ، هكذا:

منا منا..

تقيل..

فرسين..

انتظر الجميع التفسير، بينما اقترب دانيال من الكتابة، وقال: يا رب يا مُفجِّر العلوم لمن شاء من خلقك فجِّر لي العلم تفجيرًا.. وقف دانيال أمام الشيفرة، وفي لحظاتٍ قليلة

استجمع قواه، ونزل بركبتيه على الأرض ووجهه إلى الأرض وهمَ يُتمتم بتسبيحات لله، ثم انتبه إلى أن الشيفرة تحتوي على ثلاثة علوم:

١ - علم القيم والعُملات.

٢ - علم اللغات.

٣ - علم الرياضيات.

الغريب أن الكلمات تُشبه أسماء عُملات معدنية آرامية (من، شكيل، أوفارسين) فتبدأ بالأعلى بالمِن، وهي أكبر عملة كالدولار حاليًا، ثم تقل لأصغر عملة وهي (شكيل) كالقرش الآن، ثم عملة أكبر قليلًا وهي (أوفارسين) Upharsin وهي ما بين المن والشكيل.

والغريب الذي قد لاحظه نبي الله دانيال أن التدرج ليس منتظمًا، فهو يبدأ بأكبر عملة ويليها أقل عملة، ثم ينتهي بعملة متوسطة!!

علم دانيال أن الملك الذي كتب هذه الكتابة يشير إلى

عظمة بابل أيام نبوختنصر وهي تمثل أكبر عملة، ثم يشير إلى ضعفها جدًا لدرجة أنها أصبحت كأصغر عملة، ثم يعطى ملكها إلى مملكة أخرى متوسطة القوة ما بين هذا وذاك.

ثم أجرى دانيال بعض الترابطات بين اللغات، فوجد أن:

(منا) تومئ إلى (مانو) الآرامية والتي تعني: حسبت.

و(شكيل) تومئ إلى (شكالو) الآرامية والتي تعني: وزنت.

و(فرسين) تومئ إلى (براسو) الآرامية يعني: قسمت.

ومجيئها بشكل (فرسين) تشير إلى قسمتها إلى مملكة فارس.

ثم أجرى دانيال ترابطاتٍ بين اللغة العربية:

منا منا: تشير إلى أن ملك بابل كان من عند الله.

تقيل: من الإقالة، تشير إلى إقالة هذا الملك.

فرسين: تشير إلى مملكة الفرس، وجاءت بالمُثنى للإشارة إلى أن الفرس سيكون لهم فارس وبابل معًا.

ثم استخدم دانيال علم التباديل والتوافيق الرياضية بين كل هذه التفسيرات ثم اعتدل قائمًا.

ما أن اعتدل دانيال قائمًا حتى اعتدل الملك بيلشاصر في جلسته، واشرأب عنقه، وانتفض الجميع، متأهبين للتفسير من دانيال..

أقبل دانيال رويدًا رويدًا قدام الملك، ورأسه إلى الأرض ثم قال:

منا منا: أحصى الله ملكوتك وأنهاه.

تقيل: وُزنت بالموازين فكان قليلًا وناقصًا.

فرسين: أعطيث ملكك للفرس.

علم دانيال ببصيرته التي أعطاها الله إياه أن تكرار كلمة «منا» مرتين» أن القرار نهائي لا رجعة فيه، ولذلك لم ينصح

بيلشاصر بالتوبة، مع أنه قد أعطى نصيحة بالتوبة لجده نبوختنصر، ولم يفعل الأمر نفسه مع حفيده.

هذا علمٌ من الله يؤتيه من يشاء من عباده.

أصر بيلشاصر أن يستكمل تمثيل مسرحيته الهزلية، وأصر أن يمنح دانيال الهدايا والقلادات الذهبية مكافأةً له؛ ليثبت أنه ما زال ملكًا يعطي ويمنح ويسلب ويعاقب.. ولم يبصر أن عليه التوبة كجده نبوختنصر، وكان كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال عندما تبصر عدوًا قادمًا.

وهكذا اقتحم الفرس في نفس الليلة مدينة بابل، وقتلـوه، وسقطت المملكة، وتولى داريوس الفارسي الحكـم الجديد الذي كان هناك!

دانيال في ظل حكم داريوس الفارسي

رأى داريوس من دانيال الحكمة والذكاء والخبرة؛ إذ كان دانيال وقتئذ شيخًا متقدمًا في السن، ولذلك أحبه داريوس كثيرًا، وعيّنه في أرقى وظائف الدولة.

ولا غرابة في ذلك؛ فدانيال كانت له من الأمانة والجمال الروحاني الإلهي ما يجذب له قلوب من يتعاملون معه، فهو زاهد في أموال الملوك وعطاياهم.. زاهدًا في السلطة إلا أنه يُدفع لها دفعًا على كراهة منه. مما أثار غيظ وغيرة الحساد من أرباب الدولة كالعادة.

وشاية الحاقدين

لم يجد الحساد والكارهون لدانيال أي ملفٍّ أسود يستخدمونه ضده أمام الإمبراطور الجديد، سوى أنه من بني إسرائيل ويعبد الإله الواحد.. وبالتأكيد فإن داريوس يعلم هذا ولم يكن لدى داريوس ثمة مشكلة في حرية الاعتقاد ما دام الرجل أمينًا صالحًا.

إلا أنه في يومٍ من الأيام دخل هؤلاء الوشاة على داريوس متملقين للملك، وجعلوه يختم على مرسوم ملكي يتضمن به سياسات الدولة، وسياسات دولة فارس هي الشريعة التي لا تُنسخ (!) ولا يستطيع السلطان نفسه أن يُغيرها بعدما تم الختم عليها بخاتم الدولة.

وكان من ضمنها أن يجعلوا داريوس إلهًا أو في منزلة الإله، الأمر الذي لم يثر حفيظة داريوس؛ فهو مرسوم يجعله محل تعظيم.. ولكن داريوس لم يكن يعلم أن هذه القرارات سوف تُستغل ضد دانيال أسوأ استغلال بعد ذلك. وقد سقط داريوس للأسف رغم حكمته في فخ التملق.

دانيال في جب الأسود

وهنا دخل هؤلاء الوشاة مرة أخرى على داريوس، مخبرين إياه أن دانيال يُصلي ويدعو إلهًا آخر وهو إله بني إسرائيل، الأمر الذي فيه خيانة لداريوس وللدولة، ومخالفة صريحة لقرارات الدولة الجديدة.

وكانت العقوبة الرسمية هي أن يلقى في عرين الأسود الجائعـة، فانتفض داريوس الذي لم يكن يتوقع أن يُستغل ذلك ضد دانيال الذي اتخذه صاحبًا ومقربًا منه.

اكتشف الملك الفخَّ الذي سقط فيه؛ بسبب انسياقه وراء تملقهم له، وأدرك أنه بغفلته قد وقَّع بيده وثيقة إعدام صديقه الحميم دانيال.

صمم الملك على إنقاذ دانيال، وفي ظل غروب الشمس يبحث عن ثغرة في القوانين، ولكن التهمة كانت مخططة ومدروسة جدًّا، وأخذ الأشرار يذكّرونه بأن المرسوم الذي وقَّعه لا يمكن تغييره حسب قوانين الدولة العليا.

ولم يكن من داريوس بُدٌّ إلا أن يُنفذ العقوبة، التي لا

يستطيع أن يخالفها رغم سلطانه.

وذهب الجنود إلى منزل دانيال؛ ليُنفذوا حكمًا يعلمون أنه ظالم، ولم يُبد دانيال أي اعتراضٍ أو خوف، وذهب معهم بكل اطمئنان إلى جب الأسود الجائعة.

وكان الملك بنفسه في رفقة الموكب المهيب، واقترب منه يعتذر له بكونه غير مُخيّر في هذا القرار قائلًا له: سامحني يا دانيال على ذلك، وأنا على يقين أن فيك روح الآلهة التي سوف تنقذك ولا تتركك أبدًا.

وكان لسان حال دانيال يقول لنفسه عشت كثيرًا من عُمري في بلدٍ غريب كي أعاقب وأنا عجوز! لكني مقيد أسير، أجل إنني أسير في مجتمع ليس مني ولست منه، فأنا من بني سبط يهوذا وهؤلاء من الفرس، ولا حيلة لي ولا قوة، غير أني مجبرٌ على المُضي لأقدار الخالق! وها أنذا بعد قليل سوف يرمونني في جب الأسود الجائعة لأنني أعبد الإله الواحد ولا أعبد الإمبراطور.. أيها السادة أهذا هو الجرم الذي أقتل من أجله؟!ليس لي إلا ملك الملوك هو الذي سينقذني.

أما زئير الأسود فكان مرعبًا منذرًا عن الانتقام من بني

البشر الذين تركوهم أسبوعًا كاملًا بغير طعام، وكانوا مُتأهبِين للفَتك ِبأي إنسانٍ يدخل عرينهم.

ولم يجد دانيال نفسه إلا مرميًا في جُبِّ الأسود الجائعة، ولم يسمع إلا صوت الباب الحديدي الذي أغلقه الحراس الغلاظ ذوي الأجسام المهيبة خائفين من الأسود.

وسجد دانيال لإله السماوات والأرض مغمضًا عينيه..

انطلقت الأسود بوحشية ناحية دانيال من بعيدٍ، وفجأة!!

تحول صوث الأسود إلى عواء أشبه بالبكاء، حيث أبصروا ملَكًا ضخم الجثة عظيم البنيان لا يراه أحد حتى دانيال نفسه.

قال لهم الملَك بلغةٍ يفهمونها: أنا مُرسل من الله خالقكم، لا يصلح هذا الرجل أن يكون طعامًا.

فزأر كبير الأسود قائلًا له: سيدي إننا جوعى، وهؤلاء البشر تركونا أسبوعًا بغير طعام!

قال له: إن الله سوف يسدُّ أفواهكم فلا تشعرون بجوع. ويعِدُكم بوجبةٍ دسمة في اليوم التالي إن صبرتم. أما هذا الرجل فهو نبي الله دانيال، لا تقربوه.

كل هذا ودانيال ساجدٌ إلى ربه.. ولربما كان متوقعًا أن يجد نفسه بين أنياب الأسود الجائعة.. ولكن يبدو أن انتظاره قد دام طويلًا.. وانخفض صوت الزئير شيئًا فشيئًا..

أراه واقفًا أمامي الآن، اترك لي القليل من الوقت يا عزرائيل كي أكمل حكايتي، آه يا لكرمك! أين كنا؟ دعوني أحدثكم عن زئير الأسود.

الأسود تجلس باطمئنان بجوار دانيال

فأبصر دانيال الأسود وقد جلست في هدوء واطمئنان، واختفت النظرات النارية، وحلَّت محلها نظرات الحب والوداعة، فاعتدل دانيال جالسًا!

وكبير الأسود يتمسح فيه ويلعق قدميه، وكأنه كلب أليف، وليس وحشًا كاسرًا.. مما جعل دانيال يردُّ تحيته ويمسح على رأسه في ظل شعاعِ النهار الخفيف في وسط الجب

المظلم المخيف.

وفي لحظات تجمعت بقيةُ السباع تتودد إلى دانيال.

المظلم المخيف.

وفي لحظات تجمعت بقيةُ السباع تتودد إلى دانيال.

ذكريات الماضي

بينما تحوم الأسود متوددة له، عاد شريط الذكريات بدانيال قرابة نصف قرنٍ من الزمان.. تختلط بعواطفه الجياشة.. يوم حُرِم من الاعتراض مع رفقائه الثلاثة أمام الإله الذهبي الذي صنعه نبوختنصر، ولم ينل معهم شرف الرمي من أتون النيران.

وعاد به شريط الذكريات وهو يتخيل صديقه عزريا يرفع سبابته أمام نبوختنصر أعظم ملوك الأرض كلها قائلًا له: ليكن معلومًا لك أيها الإمبراطور أننا لا نسجد لآلهتك، ولا لتمثال الذهب الذي نصبتَه!

ثم يتذكر وهو يرى رفقاءه يتمشون في وسط الأتون، وأحد الملائكة يحميهم.

انسكبت دمعة حارة من دانيال، ووجد أن الله عوَّضه عن هذا الشرف العظيم.. شرف الرمي في أتون النيران.

وبينما هو قابع في زاوية الجب سمع صوت النبي أرميا الحكيم يناديه من الفوهة العلوية.. فأوجس منه خيفةً.

ولكن أرميا أردف قائلًا: لا تخف فإنني أنا أرميا، فقد علم الله أنك جائع وأتيتك بطعام وشراب، ثم دلى أرميا له طعامًا وشرابًا.

قال دانيال: يا إلهي.. أحقًا قد ذكرني الله لك سيدي أرميا؟! أحقًا قد حملك وأنت ببيت المقدس إلى هنا وحيث أنا في بابل؟!

فأجاب أرميا: نعم، قد ذكرك الله وحملني إليك! فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى عباده، حقًّا أن الله قدوس السماوات وملك الملوك.

أما الملك فقد مضى حزينًا إلى قصره؛ ليمضي ليلة طار فيها نومه، وظل ينتظر بزوغ الفجر بفارغ الصبر.. وما أن بدا ضوء الفجر يتسلل إلى الأفق حتى كان الملك مسرعًا نحو جب الأسود وقلبه يتأرجح بين الأمل واليأس، فتارة يتخيل أن دانيال قد نجا بمعجزة من إلهه، فيمتلئ قلبه فرحًا، وتارة أخرى يهزمه اليأس، ويتخيل دانيال وقد مزقته الأسود فلم تُبقِ منه شيئًا، فيعتصر الألم قلبه، وتفيض الدموع من مقلتيه، وهكذا ظل الملك في حيرته إلى أن وصل إلى الجُب.

وقف الملك من أعلى الجب، واستجمع قواه، وفتح الفوهة العلوية، ونادى على دانيال بصوتٍ مرتجف، ولم يطل به الوقت حتى سمع صوت دانيال مجيبًا إياه.

ولم يصدّق الملك أذنيه، وكاد يرقصُ فرحًا من هذه المعجزة الإلهية..

ومن فرطِ سعادته، صرخ كالمجنون قائلًا:

يا دانيال يا عبد الله الحي.. يا دانيال يا عبد الله الحي.. يا دانيال يا عبد الله الحي.

أجابه دانيال قائلًا: لقد أرسل الله ملاكه، وسد أفواه الأسود؛ لأنني وجدتُ قدامه بريئًا.

ولم يطل به الوقت حتى تجمع الحراس حول الملك - من فوق فوهة الجُب - الذين جُنّت عقولهم من شدة هول المفاجأة.

أحقًّا نجا دانيال من براثن الأسود الجائعة؟!!

الأشرار في جب الأسود

بعدما اطمأن الإمبراطور على سلامة صديقه، أمر على الفور أن يُلقى هؤلاء الوشاة في جب الأسود؛ عقابًا لهم.

وإذا كان أعداؤه قد صاغوا قانونًا لاصطياده، واستندوا إلى قوانين فارس التي لا تُنسخ! فها هم اليوم يقعون تحت طائلة نفس الختم الملكي، وهكذا وجد هؤلاء الوزراء أنفسهم مساقين إلى جب الأسود الجائعة الذي ذهبوا إليه بالأمس ليتشفوا في غريمهم، والأسود التي تحملت الجوع بالأمس كوفئت اليوم بوليمة دسمة للمتآمرين، فنهشتهم الأسود في الحال قبل أن يصل أيٌّ منهم إلى قاع الجب!

دانيال في ظل حكم الملك كورش الفارسي

توفي الإمبراطور آريوس، وتولى بعده كورش الذي لا يختلف عن حكمة آريوس، بل لعله كان أقرب حكمة وفضلًا ممن سبقوه. عاصر دانيال في ظل السبي أربعة ملوك؛ هم: نبوختنصر وبيلشاصر، وكلاهما من إمبراطورية بابل، وداريوس وكورش من إمبراطورية فارس.

وقد رأى دانيال من الإمبراطور الجديد كورش من الإيمان والحكمة ما جعله يتقرب منه أكثر، ولم لا؟! فالملك الجديد قد عاصر معجزة دانيال في نجاته من جب الأسود، ويعرف عنه الحكمة والروحانية.

أشعياء يذكر كورش بالاسم قبل ١٥٠ عامًا

حتى أطلعه دانيال بنبوءة النبي أشعياء قبل ١٥٠ سنة، وهو يذكر كورش بالاسم، ويذكر أن في زمانه سوف يرجع بنو إسرائيل من السبي إلى أوطانهم.

ويبدو أن كورش قد اندهش، وآمن لرؤية اسمه مدونًا في تلك المخطوطات القديمة، والتي كُتِبت قبل ولادته، فأعجب بها، وأمر على الفور بعودة بني إسرائيل إلى أورشليم، ولكن لم يعد جميع الإسرائيليين دفعةً واحدة، حيث فضّل بعضهم البقاء وسط الحضارة عوضًا عن بلاده المهجورة.

أما دانيال فقد كان هرِمًا، ففضل أن يستقر ببلاد فارس - لكبر سنه - حيث مات هناك.

أصحاب محمد يدفنون دانيال

نعم إنني أعرف ما قد يدور ببالك من تساؤلات! لأنه قد انتابك الآن بعض العجب، فمن الغريب - حقًا - أن يدفن الصحابة دانيال، وهم أتوا بعـده بما يزيد على الألف سنة.

بل قد يزيد عجبك إذا علمت أن النبي ذكر دانيال للصحابة، وأخبرهم بأنهم سوف يدفنونه.

عند فتح «تستر» ببلاد فارس وجد أصحاب رسول الله دانيال في مبنىً أثري موضوع على سرير، وتحت رأسه كتابه «سفر دانيال»، كان أهل المدينة إذا أرادوا أن يُمطروا أخرجوا جسده، فأمطرت السماء، فأمر عمر بن الخطاب أن يدفنوه، وأن يعمّوا قبره ولا يعلمه أحد، حتى لا ينبشه الناس.

ثم أرسل بالكتاب إلى كعب الأحبار، فترجمه إلى العربية.

روى ابن أبي الدنيا: قال النبي ﷺ: «إن دانيال دعا ربه أن تدفنـه أمة محمد».

وروى ابن أبي شيبة بسند صحيح، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّهُمْ لَمَّا

فَتَحُوا تُسْتَرَ قَالَ: «فَوَجَدَ رَجُلًا أَنْفُهُ ذِرَاعٌ فِي التَّابُوتِ، كَانُوا يَسْتَظْهِرُونَ وَيَسْتَمْطِرُونَ بِهِ، فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِذَلِكَ، فَكَتَبَ عُمَرُ: إِن هَذَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالنَّارُ لَا تَأْكُلُ الْأَنْبِيَاءَ، وَالْأَرْضُ لَا تَأْكُلُ الْأَنْبِيَاءَ، فَكَتَبَ أَن انْظُرْ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ يَعْنِي أَصْحَابَ أَبِي مُوسَى، فَادْفِنُوهُ فِي مَكَانٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُكُمَا، قَالَ: فَذَهَبْتُ أنا وَأَبُو مُوسَى فَدَفَنَّاهُ».

وروى ابن أبي شيبة بسند صحيح عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ: «شَهِدْتُ فَتْحَ تُسْتَرَ مَعَ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: فَأَصَبْنَا دَانْيَالَ بِالسُّوسِ، قَالَ: فَكَانَ أَهْلُ السُّوسِ إِذَا أَسَنُّوا أَخْرَجُوهُ فَاسْتَسْقَوْا بِهِ، وَأَصَبْنَا مَعَهُ سِتِّينَ جَرَّةً مُخَتَّمَةً».

وروى البيهقي في «دلائل النبوة» عَنْ خالد بن دينار عن أبي الْعَالِيَةِ قَالَ: «لَمَّا افْتَتَحْنَا تُسْتَرَ وَجَدْنَا فِي بَيْتِ مَالِ الْهُرْمُزَانِ سَرِيرًا عَلَيْهِ رَجُلٌ مَيِّتٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مُصْحَفٌ لَهُ، فَأَخَذْنَا الْمُصْحَفَ، فَحَمَلْنَاهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رضي الله عنه، فَدَعَا لَهُ كَعْبًا فَنَسَخَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ، أنا أَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ، قَرَأَهُ، قَرَأْتُهُ مِثْلَ مَا أَقْرَأُ الْقُرْآنَ هَذَا».

فَقُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ: مَا كَانَ فِيهِ؟ فَقَالَ: «سِيرَتُكُمْ، وَأُمُورُكُمْ، وَدِينُكُمْ، وَلُحُونُ كَلَامِكُمْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدُ» قُلْتُ: فَمَا صَنَعْتُمْ

بِالرَّجُلِ؟ قَالَ: «حَفَرْنَا بِالنَّهَارِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَبْرًا مُتَفَرِّقَةً، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلِ دَفَنَّاهُ وَسَوَّيْنَا الْقُبُورَ كُلَّهَا، لِتُعَمِّيَهُ عَلَى النَّاسِ لَا يَنْبُشُونَهُ»، فَقُلْتُ: وَمَا تَرْجُونَ مِنْهُ؟ قَالَ: «كَانَتِ السَّمَاءُ إِذَا حُبِسَتْ عَلَيْهِمْ بَرَزُوا بِسَرِيرِهِ فَيُمْطَرُونَ».

روى ابن أبي الدنيا بسند حسن، كما في «البداية والنهاية عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، قَالَ: «رَأَيْتُ فِي يَدِ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ خَاتَمًا، نَقْشُ فَصِّهِ أَسَدَانِ بَيْنَهُمَا رَجُلٌ يَلْحَسَانِ ذَلِكَ الرَّجُلَ، قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: هَذَا خَاتَمُ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْمَيِّتِ الَّذِي زَعَمَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَلْدَةِ أَنَّهُ دَانْيَالُ، أَخَذَهُ أَبُو مُوسَى يَوْمَ دَفَنَهُ.

شيفرة جبرائيل!

في السنة الثالثة لكورش ملك فارس.. اعتزل دانيال أمور المُلك، واعتزل الناس أيضًا؛ انتظارًا للحياة الأبدية التي ينتظرُها، وقام متعبــدًا في بيته قارئًا لأسفار النبيين الذين من قبله.

وحزِن دانيال حزنًا شديدًا من عدم رجوع كثير من الإسرائيليين إلى أوطانهم ونسيانهم العهد المقدس، ولِمَ لا وقد ظل دانيال منتظرًا سبعين عامًا! لكي تأتِ هذه اللحظة!

ووقتئذٍ دعا دانيال ربه أن يُعرِّفه ما سوف يحدث لبيت المقدس منذ زمنه إلى نهاية الزمان! وماذا سوف يحدث للقدس قُبيل النهاية.

إنه لأمرٌ عظيم يطول سرده جدًا، ولعل دانيال ظن أن من وقت زمنه إلى قيام الساعة زمنًا قصيرًا، وأن الخلاص الدائم سوف ينتهي بعد «الإسلام!» الحجر الذي سيكسر جميع الإمبراطوريات وينتشر في الأرض، في حُلم نبوختنصر!

وظن أنه لن تحدث كوارث على القدس طوال مدتهم!

ولذلك أرسل الله جبرائيل ليخبره بأن الأمر أكبر من هذا. وليحكي له ما سوف يحدث بشيء من الإيجاز، ثم يقوم بحكايةِ آخر إمبراطورية قُبيل إقامة رجسة المُخرب «إسرائيل».

جبرائيل ينزل من السماء!

صفير ريحٍ خفيفة ووجه الماء يتلألأ كالماس.. في نهر دجلة.. وسط شعاعِ شمسٍ طفيف.. ورياح السماء تحملُ حبوب اللقاح لتمضي مُحملةً بمستقبلٍ بعيدٍ مجهول.. يرى دانيال هذا المشهد بينما كان يتمشى إلى جانب نهر دجلة العظيم برفقةِ بعض رفقائه، وكان وقتئذٍ صائمًا زاهدًا عن الطعام والشراب، وباكيًا على شعب إسرائيل الذين رفض بعضهم الذهاب إلى الأرض المقدسة فلسطين!

فإذا برجلٍ يلبس الكتان وبطنه كأنها الذهب الخالص، وجسمه كالزبرجد، وعيناه كمصباحي نار.. وذراعاه ورجلاه كعين النحاس المصقول، وصوت كلامه كصوت جمهور من الناس يتكلمون في آن واحد!

ثم أطرق قائلًا لأصحابه: يبدو أنه ليس إنسيًا.. بل يبدو أنه جبرائيل الملاك!

للتوِّ خاف رفقاء دانيال وهربوا بعيدًا.

قال دانيال: فرأيت أنا دانيال الرؤيا وحدي، والرجال الذين

كانوا معي لم يروا الرؤيا، لكن وقع عليهم ارتعادٌ عظيم، فهربوا ليختبئوا.

فبقيتُ أنا وحدي، ورأيت هذه الرؤيا العظيمة. ولم تبقَ لديَّ قوة، وشَحُب وجهي، ونضارتي تحولت فيَّ إلى فساد.

وسمعت صوت كلامه. ولما سمعت صوته كنت ساجدًا على وجهي، ووجهي إلى الأرض.

وإذ بيد لمستني وأقامتني مرتجفًا على ركبتي وعلى كفي يدي.

وقال لي: «يا دانيال، أيها الرجل المحبوب.. افهم الكلام الذي أكلمك به، وقم على مقامك؛ لأني الآن أرسلت إليك». ولما تكلم معي بهذا الكلام قمتُ مرتعدًا.

فقال لي: «لا تخف يا دانيال؛ لأنه من اليوم الأول الذي قد جعلتَ فيه قلبك لله ولإذلال نفسك قُدام إلهك، قد سمع كلامك، وأنا الآن قد أتيت لأجلك!

جئت لأفهمك ما يصيب شعب الله من المؤمنين في الأيام

الأخيرة؛ لأن الرؤيا إلى أيام بعيدة».

وأما دانيال فقد تصبب عرقًا، وطأطأ وجهه إلى الأرض، وصمت.

وها هو ذا جبرائيل يتحوّل إلى إنسانٍ ويقتربُ من دانيال رويدًا رويدًا، ليلمس شفتيه.

قال دانيال: يا سيدي، رؤياي هذه انقلبت على أوجاع، وتهاوت قوتي! فعاد ولمسني كمنظر إنسان وقواني وشددني.

ويبدو أن جبرائيل طيلة هذه المدة يحاول أن يُهدّئ من روع دانيال؛ ليألفه ولا يخاف منه!

قال جبرائيل: «لا تخف أيها الرجل المحبوب، سلامٌ عليك.. ثم علا صوته قائلًا: تشَددا تقوَّا!».

قال دانيال: ولما كلمني تقويت وتنفست الصعداء، وشعرت بالقوة تسري في جسدي. وقلت: «ليتكلم سيدي الآن.. لأنك قد قوّيتني».

فقال جبرائيل: «هل عرفت لماذا جئث إليك؟؟؟!!

إنني أخبرك بالمرسوم في كتاب الحق «اللوح المحفوظ». ولا أحد من المخلوقات يعرف هذا إلا أنا وميخائيل.

ولتعلم يا دانيال أننا الآن نُشدد ونقوي ملك فارس، ولكن بعده نحاربه، ونأتي برئيس اليونان مكانه (يشير إلى الإسكندر المقدوني).

ومعناها:

هنا يقول جبرائيل إنه يقوي كورش الفارسي، ولكن سُرعان ما تنكسر مملكته على يد الإسكندر الأكبر، وهي مملكة اليونان.

ثم يُلخص جبرائيل حقبة من التاريخ قائلًا:

«ثم تنكسر مملكته - أي الإسكندر - وتنقسم إلى ممالك أربع ليست لعقبه، ولا تكون هذه الممالك مثل سلطانه الذي تسلط به؛ لأن مملكته تنقرض، وتكون لآخرين غير أولئك - وهي مملكة الرومان - ويتقوى ملك الجنوب - مملكة الإسلام -

ومن رؤسائه وأصحابه من يقوى عليها. تسلطٌ عظيم».

ومعناها:

وهنا يخبر جبرائيل أن مملكة اليونان بعد الإسكندر تنقسم إلى وزرائه الأربعة، ثم تنقرض اليونان، وتأتي بعدها الرومان، ثم مملكة النبي صلى الله عليه وسلم بالجنوب تتقوى على الرومان، وبالتحديد في زمن أصحابه، ورؤوس مملكته، ويتسلطون تسلطًا عظيمًا..

ولكن يبدو ثمة مدينة رومانية لم تُفتح بالشمال! نعم إنها القسطنطينية «إستانبول» حاليًا.

وقف جبرائيل إلى هذه المحطة وسكت هُنيهة! لكي يستوعب.

ثم دلف يُخبره بفتح القسطنطينية، وأخبار الدولة العثمانية.

ويبدو أن جبرائيل مُعلمٌ ماهر في التاريخ!

أردف جبرائيل قائلًا:

«وبعد سنين يتعاهدان مملكتي الشمال والجنوب، وبنت ملك الجنوب «بني عثمان» تأتي إلى ملك الشمال لإجراء الاتفاق، ولكن لا تضبط الذراع قوة، ولا يقوم هو ولا ذراعه. وتسلم هي والذين أتوا بها، والذي ولدها ومن قواها في تلك الأوقات.

ويقوم من فرع أصولها قائمٌ مكانه، ويأتي إلى الجيش ويدخل حصن ملك الشمال ويعمل بهم ويقوى»

فك الشيفرة:

يبدو أن محاولاتٍ عاتية لدولة بني عثمان، وهي إحدى بنات دولة الإسلام، بإجراء مفاوضات مع مملكة الشمال «القسطنطينية» للتسليم، ولكنها باءت بالفشل، لكن سُرعان ما يأتي فرعٌ من أصولها، ويتمكّن من دخول هذا الحصن الحصين، وقد تحقق ذلك على يد السلطان العثماني محمد الفاتح.

ويبدو أن جبرائيل يطيل قليلًا في حكاية أخبار العثمانيين؛ لكونها آخر مملكة تحكم بشريعة «يهوه»، حتى يخفف على دانيال حُزنه ويُسليه!

قال جبرائيل: «ويسبي إلى مصر آلهتهم أيضًا مع مسبوكاتهم وآنيتهم الثمينة من فضة وذهب، ويقتصر سنين عن ملك الشمال».

فك الشيفرة:

أرسل محمد الفاتح كنوز القسطنطينية «إستانبول» من الذهب والفضة والتحف، إلى القاهرة، حيث كان الخليفة العباسي المتوكل هناك، ثم أرسل رسالته الشهيرة (!) إلى السلطان المملوكي «سيف الدين إينال العلائي».

كما أرسل السلطان العثماني بايزيد الأول هدايا وتحفًا إلى الخليفة العباسي في مصر «المتوكل على الله» - الذي كان خليفةً صوريًا - طالبًا منه تفويضًا شرعيًا بالسلطنة الجديدة، فبعث له الخليفة بذلك، وكان الخليفة يعيش وسط المماليك، وكانت الهدايا ووسائل التهنئة تتردد بين الدولتين، كلما حقق أي منهما نصرًا أو فتحًا على أعدائه، وليس أدل على ذلك من

احتفال القاهرة في عهد السلطان «إينال» بنجاح محمد الفاتح في الاستيلاء على القسطنطينية.

ولكن اقتصر المماليك زمانًا عن ملك الشمال، ولم يدخلوا تحت طاعته كما أشار جبرائيل.

وهنا أصبح العثمانيون هم «مملكة الشمال»، والمماليك هم «مملكة الجنوب».

كلٌّ هذا ودانيال يقفُ متعجبًا مما يسمعه من جبرائيل!

اختلاف العثمانيين والمماليك

قال جبرائيل: «وبنوه يتهيجون فيجمعون جمهور جيوش عظيمة، ويأتي آتٍ ويغمر ويطمو ويرجع ويحارب حتى إلى حصنه، ويغتاظ ملك الجنوب ويخرج ويحاربه أي ملك الشمال، ويقيم جمهورًا عظيمًا فيسلم الجمهور في يده».

فك الشيفرة:

السلاطين من أبناء بايزيد يريدون ضم المماليك بالجنوب إليهم، مما أدى إلى اغتياظ المماليك بالجنوب وجمع العدة للحرب.

انتصار العثمانيين على المماليك

أردف جبرائيل قائلًا: «يرجع ملك الشمال ويقيم جمهورًا أكثر من الأول، ويأتي بعد حين، بعد سنين بجيش عظيم وثروة جزيلة.. ويقيم مترسة، ويأخذ المدينة الحصينة، فلا تقوم أمامه ذراعا مملكة الجنوب ولا قومها المنتخب، ولا تكون له قوة للمقاومة والآتي عليه يفعل كإرادته وليس من يقف أمامه، ويقوم في الأرض البهية - بيت المقدس - وهي بالتمام بيده».

ومعناها:

تحديدًا في عصر السلطان سليم الأول، واحتدمت الأمور بين السلطنة العثمانية (ملك الشمال)، وبين المماليك ممثلين في قنصوة الغوري، وهو ما عبر عنه جبرائيل بملك الجنوب، التي لم تستطع أن تقف أمام مملكة الشمال، ثم آل الأمر إلى انتصار العثمانيين في معركة مرج دابق! وصعود نجم العثمانيين الذين استتب لهم الأمر وسيطروا على بيت المقدس.

ثم يحكي جبرائيل حربه مع بقية المملكة الجنوبية لأخذ

الجزية.

يُكمل جبرائيل حكايته قائلًا: «فيقوم مكانه من يعبر جابي الجزية في فخر المملكة، وينهض قوته وقلبه على ملك الجنوب بجيش عظيم، وملك الجنوب يتهيج إلى الحرب بجيش عظيم وقوي جدًا، ولكنه لا يثبت؛ لأنهم يخونونه ويدبرون عليه تدابير، والآكلون أطايبه يكسرونه، وجيشه يطمو، ويسقط كثيرون قتلى».

فك الشيفرة:

بعد أن خضع مماليك الشام للمملكة العثمانية، توجه سليم الأول إلى بقية المماليك في مصر، وقام بتوكيل «سنان باشا» لكي يتسلم الخراج السنوي من مصر إلى الإمبراطورية العثمانية! - وهو ما عبّر عنه جبرائيل بالجزية - وكان يُمثل المماليك في مصر «طومان باي».

ولم يفتأ الإمبراطور العثماني - مملكة الشمال - منذ البداية في إرسال الجواسيس من المماليك الذين قد خضعوا للسلطنة إلى أصدقائهم في مصر - مملكة الجنوب - وحذرهم من إظهار موالاتهم للسلطنة، حتى إذا لم يخضع مماليك

مصر لا يمسهم سوء؛ لأنهم موالون له، ومن ثم يكونون هم معول هدمٍ داخل جيش المماليك إذا حدثت الحرب.

أما سنان باشا فقد أرسل مبعوثين برسالة تحذر «طومان باي» من الوقوع فيما وقع فيه قنصوة الغوري، وأن يكفي المصريين شر القتال، وفي المقابل سوف يبقى في حكم مصر كوالٍ من ولاة السلطان العثماني، وفوق كل هذا سوف يعطى غزة أيضًا؛ نظير أنه لم يقاتل.

وقد بدا طومان باي في البداية قابلًا للعرض، خصوصًا مع ضياع معظم جيش المماليك في معركة «مرج دابق»، ولكن يبدو أن طومان باي قد واجه عثرات وعراقيل!

إن الشراكسة قد غضبوا غضبًا عارمًا، وقاموا بقتل الرسل الذين بعثهم «سنان باشا»، وعلقوا رؤوسهم على باب زويلة!

وبعد حادثة مقتل الرسل، أرسل السلطان العثماني «سليم الأول» جيشًا جرارًا قوامه مائة وخمسون ألف مقاتل وصحبه كثير من المدافع.

أما الجواسيس الذين أرسلهم السلطان فقد خانوا «طومان

باي»، وكانوا سببًا في هزيمة المماليك بمصر كما خطط السلطان تمامًا. وهذا ما يتبيّن جليًا في كلام جبرائيل السابق: (ولكنه لا يثبت لأنهم يدبرون عليه تدابير، والآكلون أطايبه يكسرونه، وجيشه يطمو، ويسقط كثيرون قتلى).

الانتصار الثاني بقيادة محمد علي باشا:

ثم يكمل جبرائيل حكايته الشيّقة قائلًا: «وفي الميعاد يعود ويدخل الجنوب، ولكن لا يكون الآخر كالأول».

ومعناها:

بعد أن حكى جبرائيل ما وقع لهذه الإمبراطورية، وفرض نفوذها على المنطقة، يقفز جبرائيل قفزة تاريخية، ليذكر أن العثمانيين - مملكة الشمال - تعود مرة أخرى بانتزاع الحكم في الجنوب مع المماليك، ولكن لا تكون السلطنة في نفس قوتها القديمة، ولا تحدث حرب كما سبق. وهو ما حدث تمامًا حينما أرسل العثمانيون محمد علي باشا وانتصاره على المماليك بفرض سيطرته عليهم.

حرب اليونان

قال جبرائيل: «فتأتي عليه سفن من كتيم فييأس ويرجع ويغتاظ على العهد المقدس، ويعمل ويرجع ويصغى إلى الذين تركوا العهد المقدس».

ومعناها:

أرض «كتيم» هي اليونان ومقدونيا وقيل هي جزر لليونان، والمقصود حرب جزيرة كريت التابعة لليونان التي حدثت بين العثمانيين واليونان - كما هو ظاهر النبوءة - وانتهت بانتصار العثمانيين.

غيرة السلطان عبد الحميد على القدس

أكمل جبرائيل قائلًا: «ويغتاظ - أي ملك الشمال - على العهد المقدس، ويعمل ويرجع ويصغى إلى الذين تركوا العهد المقدس».

ومعناها:

عُزلة ونوبةُ غيظٍ تملكت بزِمام السلطان العثماني عبد الحميد الثاني في القرن المنصرم! الذي أحسَّ بالضعف

والعزلة، لما نادت جماعات الصهيونيين حول العالم بحقهم في وطن لهم بفلسطين، وتزمجرت لها مؤيدةً الجمعيات الحقوقية.. تذكر ويكاد الألم يعتصر قلبه مرتعبًا من ضياع جهود آبائه وأجداده وهو يشاهدها تذروها مهبةُ ريحٍ خبيثةٍ وهو واقفٌ ينظر من بعيد!

وكان رأس المنادين بذلك الصحفي اليهودي النمساوي «تيودور هيرتزل» الذي أظهر تعظيمه للسلطان عبد الحميد، وتوجّه مسافرًا إلى إستانبول، وعرض عليه أن يدفع اليهود الجزية للعثمانيين؛ نظير أن يعيش اليهود المشتتون حول العالم في فلسطين، وفق شروط المسلمين. وكان رد فعل السلطان هو الرفض.

عرض هيرتزل على السلطان رشوةً تقدر بمليون جنيه إسترليني، حينها قال السلطان عبد الحميد مقولته الشهيرة: «إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبرٍ واحدٍ من أرض فلسطين، ولو بأموال الدنيا كلها، إنها ليست ملك يميني، ولكنها ملك الأمة التي روتها بدمائها وعرضها، إذا مُزقت دولة الخلافة فسوف تأخذونها بلا ثمن. أما وأنا حيّ، فلا يكون».

نزع الخلافة ثم إقامة إسرائيل

وهنا هاجت ريح من السماء ودانيال واقفٌ في مكانه لا يتحرك ولا ينطقُ ببنت شفة! وقد أعار سمعه وقلبه ووجدانه إلى جبرائيل ليُكمل الحديث! ثم عاد جبرائيل ليحدّث دانيال بما سوف يُفزعه ويضطرب له دقاتُ قلبه!

أردف جبرائيل قائلًا:

«وتقوم منه أذرع وتنجس المقدس الحصين، وتنزع المحرقة الدائمة(4)، وتجعل الرجس المخرب».

ومعناها:

يخبر جبرائيل أن في هذا القرن محرقة الرب «الشريعة» سوف تنزع، والقدس سوف يتنجس بعد غيظ السلطان العثماني، وكان سبب ذلك أذرع تخرج من نفس مملكة الشمال كخيانتهم أو إقامة حكومة جديدة ممثلةً في مصطفى كمال أتاتورك!

حرب فلسطين

قال جبرائيل:

«وتجعل الرجس المخرب والمتعدون على العهد يغويهم بالتملقات. أما الشعب الذين يعرفون إلههم فيقوون ويعملون، والفاهمون من الشعب يعلمون كثيرين. ويعثرون بالسيف وباللهيب وبالسبي وبالنهب أيامًا، فإذا عثروا يعانون عونًا قليلًا، ويتصل بهم كثيرون بالتملقات، وبعض الفاهمين يعثرون امتحانًا لهم للتطهير وللتبييض إلى وقت النهاية؛ لأنه بعد إلى الميعاد».

ومعنى تلك الشيفرة:

يقرر جبرائيل بإقامة «رجس المخرب» إسرائيل، ويحكي أن هناك من الناس سوف يتملقون ويداهنون، لكن الشعب المؤمن لا يتملق ولا يداهن، ولكن يُعلّمون الناس الحقيقة، ثم يمضي متحدثًا عن حرب عام ٤٧، والابتلاءات التي تقع على أهل القدس ولكن المؤمنين سوف يبتليهم الله؛ لتطهير الذنوب إلى نهاية الزمان.

وبهذا نكون قد فسرنا شيفرة (نزع القدس من ملك الشمال) من كلامِ أليعازر الكاهن الذي قرأها على مخطوط البحر الميت عام ٤٨!

يُكمل جبرائيل قائلًا:

«ويفعل الملك كإرادته، ويرتفع ويتعظم على كل إله، ويتكلم بأمور عجيبة على إله الآلهة، وينجح إلى إتمام الغضب؛ لأن المقضي به يجرى.. وبكل إله لا يبالي؛ لأنه يتعظم على الكل».

فك الشيفرة:

يقوم جبرائيل بإخبار دانيال - وما زال الكلام على المملكة الشمالية! - بتغييرٍ يطرأ على هذه المملكة، وأن ملكها سوف يتغير ولا يتبع شريعة يهوه، ويصبح يتكلم بأمور عجيبة لا يعرفها آباؤه ولا أجداده.

نشوء الملاحم!

يتابع جبرائيل ودانيال يسمعه، عن بداية الضيق ونشوء الملاحم في آخر الزمان، ولكنه يُطمئن دانيال أن ميكائيل العظيم يكون عونًا للمؤمنين وقتئذ.

قال جبرائيل: «وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك المؤمنين، ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت. وفي ذلك الوقت ينجو شعبك، كل من يوجد مكتوبًا في السفر».

اختم السِّفر يا دانيال!

ثم يرى دانيال وكأن يوم الميعاد قد قام، والراقدون في التراب قد قاموا، مستيقظين إلى الحياة الأبدية والخلود.. وآخرون يستيقظون إلى الخزي والعار الأبدي.

ورأى ناسًا من الفاهمين والعارفين ليسوا من الأنبياء.. إنما هم بشر عاديون.. رآهم يضيئون كضياء الجلد الناصع؛ لأنهم ردوا كثيرين إلى البر، وأرشدوهم إلى النجاة.. رآهم دانيال مثل الكواكب الدرية اللامعة إلى أبد الدهور.

وفجأة!! سمع صوتًا يقول له: أما أنت يا دانيال فأخف الكلام واختم السفر(!)، أما في وقت النهاية فكثيرون سوف يتصفحونه ويحاولون فهمه والمعرفة تزداد!

وهنا جبرائيل يحاولُ أن يخبر دانيال أن الكلمات مُشفرة، وفيها شيء من الخفاء؛ لأن هذه الأحداث التي ذكرها لم تكن قد حدثت بعدُ!

ولكن في نهاية الزمان سوف يفهمه كثيرٌ من الناس حيث يقول جبرائيل: «أما في وقت النهاية فكثيرون سوف

يتصفحونه ويحاولون فهمه والمعرفة تزداد».

ويبدو أن النبوءة سوف تتحقق، وسوف يتصفح كثيرٌ من الناس «سفر دانيال» في نهاية الأيام!

سكت دانيال هُنيهة، ثم نظر فرأى اثنين من الملائكة أحدهما يقفُ على أحد جانبي النهر، والثاني على الجانب المقابل له من النهر.

وقال للرجل اللابس الكتان «جبرائيل»: إلى متى انتهاء العجائب؟

فقال دانيال: وأنا دانيال سمعت وما فهمت! فقلتُ يا سيدي، ما هي آخر هذه العجائب؟

فقال جبرائيل: اذهب يا دنيال؛ لأن الكلمات مخفية ومختومة إلى وقت النهاية.. كثيرون يتطهرون ويُبيضون ويُمحصون، أما الأشرار فيفعلون شرًا. ولا يفهم أحد الأشرار، ولكن الفاهمين يفهمون..

اللغز الرقمي العجيب!

ثم يُكمل جبرائيل:

«يا دانيال.. من وقت إزالة المحرقة الدائمة وإقامة رجس المخرب ألف ومئتان وتسعون يومًا.

طوبى لمن ينتظر ويبلغ إلى الألف والثلاث مائة والخمسة والثلاثين يومًا.

أما أنت يا دانيال.. فاذهب إلى النهاية فتستريح.. وتقوم لقرعتك في نهاية الأيام».

انتهت الرؤيا الطويلة جدًّا!

ودعنا الآن أنا وأنت نتنفس الصعداء سويًّا!!

توافقات رقمية عجيبة!

إن جبرائيل أشار إلى دانيال بإشارةٍ حسابية ورقمية كما عرفت آنفًا! لكن فما عساها تعني؟! إنها كلمات مخفية.. كلماتٍ مُشفرة ومختومة إلى وقت نهاية العالـــم كما قال جبرائيل!

وقد يصيبك الذهول والعجَب إذا ما علمت ما تُشيرُ إليه هذه التوافقات الرقمية العجيبة..

إن بين «إزالة محرقة الرب الدائمة» - إزالة الخلافة - وبين إقامة رجس المخرب «إسرائيل» ١٢٩٠ كما قال جبرائيل تمامًا.

وقد تم إلغاء الخلافة عام ١٩٢٢م وأقيمت دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ وبينهما ٢٦ عامًا،

فإذا ما اعتبرنا اليوم في الرؤيا بأسبوع، فيكون ١٢٩٠ أسبوعًا = ٢٦ عامًا تحديدًا، وهو ما حصل فعلًا!

إن اعتبار (الأسبوع) كوحدة زمنية كان مألوفًا جدًا في العهد القديم، حتى إنهم كانوا يعظمون سبتًا واحدًا كل سبع سنوات، كما أن دانيال لما أخبر رفقاءه بالعودة إلى بابل قال

لهم بعد ٧٠ أسبوعًا! وهو يعني ٧٠ سنة.

وعلى هذا، فبين إزالة الخلافة عام ١٩٢٢م وإقامة دولة إسرائيل ١٩٤٨ = بينهما ٢٦ عامًا، وهو ما يساوي ١٢٩٠ أسبوعًا تحديدًا.

هل يُمكن أن تكون هذه مصادفة؟ ألا يعني هذا التوافق العجيب أن حكاية جبرائيل كان يعني بها الدولة العثمانية تحديدًا؟!

أما إذا اعتبرنا اليوم بسنة:

على تقدير أن إزالة المحرقة الدائمة معناها إلغاء إضاءة الشموع في بيت المقدس، فكان هذا في إعمار بيت المقدس وبناء قبة الصخرة، بحيث اقتصرت شعائر النصارى في كنائسهم، وألغى إضاءة الشموع حول بيت المقدس، والتي كانت كـ«المحرقة»، فكان هذا في عهد عبد الملك بن مروان ٦٧٧م على الأصح.. ٦٧٧ + ١٢٩٠ = ١٩٦٧ وفي هذا التأريخ تثبتت أركان دولة إسرائيل.

وعلى تقدير أن إزالة المحرقة الدائمة معناها إزالة وإيقاف

المد الإسلامي الذي امتد مثل النار في الهشيم.. فهو بهذا الاعتبار «محرقة دائمة»؛ لكونها استمرت كالنار في الهشيم بشكلٍ دائم ومتواصل بعد وفاة الرسول، ودامت إلى ردحٍ من الزمن يكون بناء الهيكل عام ٢٠٢٢.

لقد شارفت حكاية الساحر الأخير على الانتهاء يا رفاق، تروني أقف أمام الموت وأحني قامتي، لا يوجد مخرج لي ولا مهرب الآن، ولكن دعوني أخبركم عما سيحدث عام ٢٠٢٢ قبل أن يكف قلبي عن الخفقان.

نبوءة لعام ٢٠٢٢!

إذا اعتبرنا إيقاف المد الإسلامي هو إيقاف لشريعة الرب قديمًا، فإن المحرقة الدائمة قد توقفت في موقعة بلاط الشهداء أو موقعة بواتييه الفرنسية ٧٣٢م بعدما انهزم الجيش الإسلامي الأموي أمام الجيوش الأوروبية عام ٧٣٢م.. وتوقف الزحف الإسلامي بعدها.. إذن فبين وقف المد الإسلامي (إزالة المحرقة الدائمة) وبين بناء الهيكل (رجسة الخراب) ١٢٩٠ عامًا كما جاء برؤيا دانيال، فيكون بناء الهيكل (رجسة الخراب) فعليًا وفق هذه النبوءة ٧٣٢ + ١٢٩٠ = ٢٠٢٢م.

إن الرجسة متى قامت سوف يكون قيامها وبالًا على اليهود كما سأل الحواريون المسيح عن الخلاص الدائم، وكانوا يومئذٍ تحت احتلال الرومان، فقال المسيح كما في إنجيل متى: «إذا رأيتم رجسة الخراب التي أخبر عنها النبي دانيال قائمةً في بيت المقدس، فليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال».

صدق المسيح فليهربوا.. وليفروا من ديارهم؛ لأن لعنة «يهوه» تحلُّ عليهم يومئذا! والهلاك سوف يكون حتمًا

مصيرهم.. ويكون بناء «رجسة الخراب» أو «رجسة المُخرب» يكون وبالًا عليهم وعلى بني جلدتهم أبد الآبدين.

لم يحدد المسيح مني سيكون ذلك وبالًا عليهم، هل بعد سنتين من بنائها أم عشر سنين أم عشرين سنة! ولكنها من إرهاصات نهاية دولتهم لا محالة.

وعلى كل حال، بهـــذا نكون قد فسرنا الشيفرة الثالثة من كلام أليعازر الكاهن «شفرة ألف ومائتان وتسعون».

نبوءة لعام ٢٠٤٩!

قال جبرائيل:

«طوبى لمن ينتظر ويبلغ إلى الألف والثلاث مائة والخمسة والثلاثين يومًا.

أما أنت فاذهب إلى النهاية فتستريح، وتقوم لقرعتك في نهاية الأيام».

فك الشيفرة:

لا أخفيك حديثًا يا صديقي أن هذا اللغز محيرٌ حقـًا، لكنه بالتأكيد يحتوي على سرٍّ خطير إذا ما عرفنا معنى تلك الرؤية وفك تلك الشيفرة.

إن الملاك جبرائيل قد أجاب دانيال بجوابٍ يحتاج إلى تأمل، فإنا لو اعتبرنا اليوم بأسبوع.

فيكون ١٣٣٥ أسبوعًا = ٢٧ سنة.

إذا أضيفت إلى ٢٠٢٢ يكون الناتج ٢٠٤٩ ميلادية!!

حيث انتصارٌ من نوعٍ آخر بل محرقة أخرى.. وانتشارٌ كمثل الانتشار الأول، بيد أن هناك لا عودة للشيطان ولا لجند الشيطان، ولا أنتخريستوس «المسيح الدجال» مرة أخرى.

لقد ذُكرت قيام دولة رجسة الخراب في بيت المقدس في نبوءات دانيال والمسيح عليهما السلام، وتباينت آراء المفكرين وعلماء اللاهوت في ذلك، فمنهم من أنصف وجعل دولة الصهاينة هي الرجسة، وأنها دليل على غضب الرب عليهم، ومن هذه الطوائف طائفة «ناطوري كارتا»، وهم يهود مناهضون للاحتلال الإسرائيلي.

ومنهم من غلا وعكس الحقيقة، وجعل الليل نهارًا والنهار ليلًا، فزعم أن النبي محمد المبشر به وبأمته هو المسيح الدجال والنبي الكذاب، وأن المحاربين له ولأمته هم القديسون الأطهار، والملائكة الأبرار.. وعلى هذا التأويل الفاسد الظالم اعتمد دعاة الحملات الصليبية قديمًا من الآباء والرهبان بقيادة بابا روما.. في تأجيج حماس الجماهير الغبية وشعوب الغجر في بلاد أوروبا.. وسوقها إلى بلاد الإسلام... والتي ندموا عليها أشد الندم بعد ذلك.. وتجد هذا الندم جليًا بأقلام المستشرقين.. حتى رجال الدين المعاصرين.

نعم.. لقد أنصفت المؤرخة الإنجليزية «كارلين أرمسترونج» في كتابها «القدس مدينة واحدة وثلاث عقائد!» بقولها: «لم تر هذه المدينة المقدسة في تاريخها الدموي الطويل سلامًا أبدًا، إلا في فترتين حين فتحها المسلمون في زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وحين حرروها في عهد صلاح الدين».

فهنالك امتازت العقائد الثلاثة بحرية العبادة!

حربُ الوحوش

في عام ٥٥٥ قبل الميلاد يرى دانيال رؤيا عجيبة، أفزعته وأطارت النوم من عينيه، إنهـا رؤيا تحدث قرب نهاية الأيام، مقتلة عظيمة أو حربٌ عالمـية عظمى تحدث بين دول العالم، والتي أسماها دانيال بـ«حرب الـوحوش»! التي خرجت من البحـر المحيط، ثم سيطر وحشٌ أعظم (دولـة عظمى) على العالم كله، وداست الجميع بقدميها، والتي بدورهـا تجبرت وتكبرت.. ثم ظهر «قديم الأيام» (المهدي: يطلق عليه قديم الأيام في الأسفار القديمة).. ونزل ابن الإنسان بين سحب السماء، وهو المسيح عليه السلام.

فهل حقـًا رأى دانيال الحرب العالمـية الثانية؟!

يحكي دانيال قائلًا: كنت أرى في رؤياي ليلًا، وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر المحيط، وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة، هذا مخالف لذاك،

الأول كالأسد وله جناح نسر. وكنت أنظر حتى انتتف جناحاه وانتصب عن الأرض، وأوقف على رجلين كإنسان، وأعطي قلب إنسان.

وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدب، فارتفع على جنب واحد، وفي فمه ثلاثة أضلع بين أسنانه، فقالوا له هكذا: قم كل لحمًا كثيرًا.. وبعد هذا كنت أرى.

وإذا بآخر مثل النمر، وله على ظهره أربعة أجنحة طائر. وكان للحيوان أربعة رؤوس، وأعطي سلطانًا.. بعد هذا كنت أرى في رؤى الليل.

وإذا بحيوان رابع هائل وقوي وشديد جدًا، وله أسنان من حديد كبيرة. أكل وسحق وداس الباقي برجليه. وكان مخالفًا لكل الحيوانات الذين قبله، وله عشرة قرون.. كنت متأملًا بالقرون، وإذا بقرن آخر صغير طلع بينها، ووقع بسببه ثلاثة من القرون من قدامه، وإذا بعيون كعيون الإنسان في هذا القرن، وفم متكلم بعظائم.. كنت أرى أنه وضعت عروش، وجلس القديم الأيام. لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقي، وعرشه لهيب نار، وبكراته نار متقدة.. نهر نار جرى وخرج من قدامه. ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدامه. فجلس الدين، وفتحت الأسفار.. كنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التي تكلم بها القرن. كنت أرى إلى أن قتل الحيوان وهلك جسمه ودفع لوقيد النار.. أما باقي الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم، ولكن أعطوا

طول حياة إلى زمان ووقت.. كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه أمامه.. فأعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لا يزول، وملكوته ما لا ينقرض.

أما أنا دانيال فحزنت روحي في وسط جسمي، وأفزعتني رؤى رأسي، فاقتربت إلى واحد من الوقوف، وطلبت منه الحقيقة في كل هذا. فأخبرني وعرفني تفسير الأمور هؤلاء الحيوانات العظيمة هي ممالك تقوم على الأرض، أما قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكونها إلى الأبد وإلى أبد الآبدين.

حينئذ رُمت الحقيقة من جهة الحيوان الرابع الذي كان مخالفًا لكلها، وهائلًا جدًّا وأسنانه من حديد، وأظفاره من نحاس، وقد أكل وسحق وداس الباقي برجليه.. وعن القرون العشرة التي برأسه، وعن الآخر الذي طلع، فسقطت قدامه ثلاثة. وهذا القرن له عيون وفم متكلم بعظائم، ومنظره أشد من رفقائه.. وكنت أنظر وإذا هذا القرن يحارب القديسين فغلبهم.. حتى جاء القديم الأيام، وأعطي الدين لقديسي العلي، وبلغ الوقت، فامتلك القديسون المملكة.. فقال هكذا:

أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض مخالفة لسائر الممالك، فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها.. والقرون العشرة من هذه المملكة هي عشرة ملوك يقومون، ويقوم بعدهم آخر، وهو مخالف الأولين، ويذل ثلاثة ملوك.. ويتكلم بكلام ضد العلي (العلي: هو الله) ويبلي قديسي العلي (قديسو العلي: المؤمنون)، ويظن أنه يغير الأوقات والسنة، ويسلمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان.. فيجلس الدين وينزعون عنه سلطانه ليفنوا ويبيدوا إلى المنتهى.. والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطى لشعب قديسي العلي. ملكوته ملكوت أبدي، وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون.. إلى هنا نهاية الأمر. أما أنا دانيال، فأفكاري أفزعتني كثيرًا، وتغيرت على هيئتي، وحفظت الأمر في قلبي، وأنت بالتأكيد تريد أن تعرف تفسير هذا النص وما حواه من غرائب ومعضلاتٍ، وما هي قصة الوحش الذي داس الآخرين بقدميه؟!

الحرب العالمية الثانية

صوت انفجار مدوٍّ

نعم.. نعم إنني مخيون الذي أحدثك عما يحدث من أهوال.

إنني في كل حدث من أحداث روايتي أنتقل إلى هذا الحدث حسيًا، وكأنني أراه رأي العين.

لقد غلبتني غفوة الآن، وإذ بي في قلب (برلين) يا إلهي.

إن أصوات الانفجارات تدوي من حولي.. طائرات.. دبابات.. قتلى.. إن الأمر مخيف حقًا..

أرى نسرًا حديديًا يظهر من وسط النار ليحط على مبنى (الرايخ ستاج) بمنتصف برلين، ثم أرى نفسي في قلب (موسكو)، وتهتز الأرض وتنهار الجبال، ليخرج منها دب عملاق يخفي الشمس من خلفه، ويزأر عاليًا، ثم يرقد متربصًا بجانب الكرملين.

إنني الآن في قلب أحداث الحرب العالمية الثانية..

لا تنزعج فهذا حالي.. يبدو أن ما قاله دانيال في رؤياه عن الوحوش هو بعينه الحرب العالمية الثانية.

فقط عليك أن تعرف..

بريطانيا: هي النمر الذي له أربعة أجنحة، وكثرة الأجنحة إشارة إلى طيرانه إلى أي مكان في العالم، فهي المملكة التي لا تغيب عنها الشمس.

ألمانيا: هي الأسد بجناحي نسر، وجناحا النسر مع العلم الأصفر هو رمز لألمانيا قبل الحرب العالمية، والأسد إشارة لهجومه في الحرب وشجاعته، وانتتاف جناحاه إشارة إلى هزيمته في الحرب.

الاتحاد السوفيتي: هو الدب وهو رمزٌ قديم لروسيا «الدب الروسي»، وقيل له كما في الرؤيا: (قم وكل لحمًا كثيرًا) إشارة إلى كثرة قتله.

الولايات المتحدة: هي الوحش الهائل ذو الأسنان الحديدية، وهي إشارة إلى قوة فتكه.

العشرة قرون والقرن الصغير

بعد انتصار قوات التحالف، أصبح في العالم قوتان عُظميان همـا «الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة الأمريكية»، وبعدها ببضع سنواتٍ قليلة، وفي فترة الرئيس الأمريكي «أيزنهاور» وقبيل فترة «جون كيندي» أصبحت الولايات المتحدة القوة الأولى في العالم!

وذلك بعد خوض حرب كوريا - والتي اعتبرها الكثير من ذيول الحرب العالمية الثانية واستكمالًا لها - والتي شارك فيها الاتحاد السوفيتي، ونجحت الولايات المتحدة بفرض سيطرتها على المنطقة.

وأصبحت بذلك القوة الأولى في العالم!! فيكون بذلك «جون كيندي» هو القرن الأول بعد سيطرة الوحش على العالم.

أتكون العشرة قرون في رؤيا دانيال هم رؤساء أمريكا بداية من «جون كيندي» إلى «باراك أوباما»؟!

فترتيب أوباما رقم ١٠ بداية من جون كيندي!

ويكون «دونالد ترامب» هو نفسه القرن الحادي عشر الذي تكلم بالعظائم، وحارب قديسي العلي»!

لكني أراه تفسيرًا بعيــدًا!!

في الحقيقة يمكنني أن أقول باطمئنانٍ إنه لا يمكن - أبدًا - أن نجزم بشيءٍ من هذا؛ لأن الرئيس الأمريكي «دونالد ترامب» ليس قرنًا صغيرًا بالنسبة إلى نظرائه الرؤساء، ولم يسقط أمامه ثلاثة قرون، كما جاء بالرؤيا، غير أننا ما زلنا شبه مستيقنين من أن المقصود بالوحش الضخم في رؤيا دانيال هو نفسه الولايات المتحدة الأمريكية.

التفسير المنطقي للحلم!

في الحقيقة.. إن تلك القرون ليست حُكامًا للمملكة، بل هي عبارة عن «ممالك» وحلفاء تحت هذه المملكة العظمى.

وإن القرن الصغير الذي تكلم بالعظائم ومنظره أقبح من نظرائه وقد حارب القديسين.. هي نفسها «دولة إسرائيل» الصغيرة، وهي بالفعل:

١ - قرن صغير.

٢ - أقبح من نظرائها الحلفاء من العرب.

٣ - حاربت القديسيين.

٣ - أسقطت وأذلّت ثلاثة حلفاء.

وقد سقط أمام هذا القرن ثلاثة قرون، وهذا ما حدث في التاريخ، فإن إسرائيل أسقطت فلسطين باحتلالها، وسوريا باحتلال الجولان، ومصر باحتلال سيناء بالسابق!

نعم، فجميع أوصاف هذا القرن ينطبق على دولة إسرائيل بشكلٍ عجيب.

أصبح الوقت متأخرًا جدًّا

الآن ساعة الصفر تقترب جدًا، ولا وقت للتوضيح الكثير.. والدقائق تمر دقيقة تلو الأخرى، غير أني أحاول اجتياز المسافة التي بيني وبينك، كلام كثير في رأسي أريد أن أعرفك إياه قبل وقت النهاية.. لكن الوقت يقترب والدقائق تمر.. والكلام قد يصل ناقصًا إن لم يصل بحذافيره ممتزجًا مع شعوري وعواطفي.. نعم إن المهمة لديَّ صعبة، ولكني أحاول!

فإنه - لا محالة - يجب أن يتحقق الوعد الرباني، ويدخل المسلمون المسجد كما دخلوه أول مرة.. قال الله تعالى في القرآن مخاطبًا بني إسرائيل: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ (الإسراء: ٧).

لا بد وأن يدخلوا المسجد منتصرين، كما دخلوه أول مرة في زمن عمر بن الخطاب. ولكن بعد بناء «رجسة المخرب» التي تكلم عنها دانيال، وحذر من وجودها المسيح، وما هي إلا سنوات وسيبنى اليهود هيكلهم «الرجسة» مكان هيكل الرب «المسجد الأقصى».

نعم لقد أصبح الوقت متأخرًا جدًّا..

لكن.. وعلى أي حال، قد فسرنا شيفرة أخرى من كلام أليعازر الكاهن «شفرة حرب الوحوش» فلا تنسَ!

قديم الأيام يكسر القرن الصغير

رجلٌ وصف بالقدم؛ لأنه سوف يُعيد لشعب «قديسي العلي» مكانتهم القديمة.. هو رجلٌ قديم؛ لأنه متمسك بالدين القديم وسط ما يحويه الواقع الجديد من مستجدات.. هو قديم فهو رجل كأنه من الرعيل الأول من الصحابة.. هو قديم لأنه مبشر به في الأسفار القديمة.

يكسر هذا الرجل القديم القرن الذي يتكلم بالخبائث «إسرائيل»، ويهدم الهيكل «رجسة المخرب»، ثم ينزل عيسى بن مريم.. ابن الإنسان من سحب السماء كما وصفه دانيال!

وفي وسط هذه الأوقات العصيبة.. يخرج المسيح الدجال غاضبًا من انتصار الحق في العالم.

هل حقًّا يوجد مسيخ دجال؟!

هل حقًّا تؤمن بوجود أرواحٍ شريرة تساعد وتؤجج وجود الشر في العالم؟

آخر نفسًا آخر، دعوني أخبركم عما فعلته بالمحقق

الأمريكي جون ألفريد الذي حاول الاقتراب من الحقيقة أكثر من اللازم..

التحقيق الأخير في القضية التي تملك وابل أسئلة ومثله إجابات تناثرت الأوراق من يد جون ألفريد المحقق الفيدرالي المكلف بالتحقيق في قتل العالم الأمريكي فيليب شنايدر، بينما كان يناديه صديقه أرنولد تسلر.

- جون.. جون لقد وجدت خيطًا مهمًا في القضية.

- اللعنة أرنولد، لقد أفزعتني وأوقعت أوراق القضية من يدي!

- دعك من تلك الأوراق، لقد علمت للتوِ، أن أحد أصابع الضحية كانت مقطوعة، بينما الجثة التي رأيناها مكتملة الأصابع.

- ماذا تقول؟! هذا ليس خيطًا في القضية، إن هذا يزيدُ القضية تعقيدًا، ويطيل علينا مدة التحقيق!

- ليس في القضية تحقيق جون!

وقف جون مذهولًا لعدة ثوانٍ، ماذا تعني أرنولد؟!

- أعني ما سمعته، وما تبادر إلى ذهنك! القتل مدبـر ومخطط له من جهاتٍ عليا، ألا ترى جون كيف أن المدعي الفيدرالي يريد إغلاق القضيـة..

وهنا قاطعه جون غاضبًا:

- ليس لك أنت وأمثالك ومن هم أكبر منك أن يملكوا إيقاف القضية أو إكمالها، إنهـا العدالة يا سادة، هل تريدني أن أخالف القسم الذي أقسمته؟!

وهنا يصفق أرنولد له ببطء متهكمًا:

- هذا جيدٌ إذن، أحسـنت.. ولكن قل لي، هل تملك أن تقف أمام من هو أكبر من المدعي! إنها قضية أمن قومي يا رجل، الأصلح لك أن تتركهـا.. اتركها إلى الأبد.

وهنا بدت نظرات جون تتسمُ بالهدوء وقد تنفس الصعداء.. قائلًا:

- هل قلت لي: من أكبر من المدعي الفيدرالي!

وهنا أشعل أرنولد سيجارة، ثم ألقى نفس الدخان الذي غبر المكان، وسط شعاع الشمس الطفيف.. قائلًا: نعم جون لقد سألت المدعي بنفسي، وهو نفسه كان متعجبًا من إغلاق القضية قائلًا لي: هذه هي الأوامر.

وبدا مرتعبًا وعليه علامات الإرهاق، لكن أوامر من؟! لم يفصح عنها، فقط لم يزد على قوله لي: هذه هي الأوامر!

«وهنا نعود إلى فيليب شنايدر الذي قُتِل - أو بالأحرى اختفى - في ظروفٍ غامضة».

فيليب شنايدر هو العالم الجيولوجي والفيزيائي الأمريكي الذي كان مُكلفًا من الإدارة الأمريكية أن يشرف على حفر أنفاق دولسي العملاقة والغامضة في نفس الوقت! والتي تمتدُ مئات الكيلومترات تحت سطح الأرض.

لقد توقف شنايدر إلى حدٍّ معين؛ لأنه قد وجد أشياء غامضة تحدث من حوله!

قد وجد أن للماسونيين تدخلًا بشكل مباشر في قرار حفر هذه الأنفاق.

ومما لاحظه شنايدر وجود أنفاق مجهزة سابقًا تحت الأرض، وكان دور شنايدر أن يلحق سطح الأرض بهذه الأنفاق المجهزة.

فمن حفر هذه الأنفاق تحت الأرض؟! لا أحـــد يعلم..

في أول نزول له في هذه الأنفاق لاستكشافها، رأى شنايدر بنفسه أشخاصًا رماديين أشكالهم كالبشر تمامًا، إلا أنهم أقصر بقليل قد أسماهم بالرماديين، وهم في الحقيقة نوعٌ من الجن موّكلين من جهةٍ سرية بحماية هذه الأنفاق لسببٍ مجهول!

لكن من حفر هذه الأنفاق؟!

اتهم شنايدر الإدارة الأمريكية بخطف المدنيين؛ لكي يعملوا في حفر هذه الأنفاق العملاقة، حيث حكى هو بنفسه أنه قابل بعض العمال الذين يعملون تحت الأرض، فذكروا له أنهم لا يعلمون شيئًا عن الحياة فوق الأرض؛ إذ إنهم يعملون منذ

طفولتهم.

وأكد أن هناك عشرة آلاف شاب يتم اختطافهم سنويًا بشكل غامض. وليس لهم سوابق أو اتجاهات سياسية.

فإنهم من المستحيل أن يعلنوا احتياجهم لعمال حفر لما تتسم به هذه الأنفاق من السرية.

يقول شنايدر إن الطوابق الأولى في هذه الأنفاق مخصصة للعمال والعلماء، وأما الطوابق المتقدمة عنها فمخصصة لمن لهم تصاريح أمنية من الإدارة الأمريكية، أما الطوابق العليا تحت الأرض فهي لمن بلغوا درجة ٣٣ في الماسونية!

ويعتقد شنايدر أن في أحد هذه الطوابق - وهو الطابق الأخير - فيه مخلوق خارق للعادة وهو العقل المدبر، ويعتقد شنايدر أنه مخلوق غير بشري تتعاون معه الإدارة الأمريكية بشكل سري تحت الأرض، لتطبيق النظام العالمي الجديد على العالم كله.

تُرى من هو ذلك المخلوق الخارق للعادة؟ وهل هناك نظام «شريعة» يراد تطبيقها في مواجهة شرائع الإله؟

نعم إنها الحكـومة العالمية الجديدة التي يُراد تطبيقهـا الآن على العالم كله بقيادة الوحش الضخم في رؤيا دانيال.. الاتجـاه المقابل للرسالات السماوية.

ويتم هذا المُخطط العجيب مع المسيح الدجال «ابن إله النور»، كما يزعمون.. وهو تحت الأرض يعلّمهم كل شيء من علومٍ وطائراتٍ وأجهزة تحكم، مضاهاةً لعلم الله، أما علمه فهو يفوق علومهم بعشرات الأضعاف، حتى إنه يقول للسماء أمطري فتمطر، والأرض أخرجي زرعك فتُخرج زرعها.

أما الشيطان الأكبر فهو إله النور عند الماسون الذي هو في صراعٍ مع إله الظلام الذي أنزل الكتب السماوية كما يزعمون!

الوحش الكاسر والزانية العظمى!

التنين الأعظـــم في رؤيا دانيال.. هو وحشٌ كاسرٌ ذو أنياب كثيرة، يدوس ويسحق بقدميه جميع الأمم، وله السيطرة على العالــم الجديد.. نعم إنها القوة الأولى في العالم.

وفي نفس الوقت لا ضير أن يكون ذاك الوحش كالمرأة الفاتنة للملوك إذا ما أراد الوصول إلى هــدفه، إنه وحشٌ إذا تحتم عليه أنه يكون وحشًا، بينما يمتلئ وداعــة ورُقيًا وتحضرًا حتى يستهوي أفئدة الشعوب إليه الذين يبحثون عن السعادة والحرية، وهو نفسه المرأة الساقطة التي تستقطب جميع الملوك والقياصرة مغريةً لهم بجمالها، حتى يكونوا تحت وطأة حبها وغرامهــا وجمالها، ولم لا، وهي الغنى بعد الفقر، وهي المجد بعد اليأس، وهي الأموال الكثيرة والمتع الوفيرة، وهي الفاتنة من النساء إذا تسربلت وتهيأت؟

وكما جاء بالأسفار القديمة: تسربلي أيتها المرأة، تسربلي بالأرجوان والقرمز.. تبختري بالذهب والحجارة الكريمة واللؤلؤ.. وحشك قرمزي له سبعة رؤوس وعشرة قرون..

هي تلك الزانية التي تجلس على المياه الكثيرة.. معها كأس من ذهب فيها نجاسات زِناها مع ملوك الأرض.. تحيطها المياه من كل جهاتها.. والشيطان يتخذ عرشه في أحد جوانبها..

لتكون هذه الزانية ملاذه الذي يلتجأ به؛ ليحارب به القديسين نهاية الأيام.

باراك أوباما وإرهاصات النهاية

وفي ليلة مضيئة بضوء القمر الخافِت ظهر ذلك الشاب الآدم مائلُ السُمرة هزيل الجسد بسيط الطباع، هادئ النفسِ، رأسه يتوقدُ ذكاءً، عائدًا من الولايات المتحدة الأمريكية متجهًا إلى بلده كينيا بالقارة الأفريقية، مضى وسط الأمطار متفكرًا في مستقبله الذي لم يكن يتوقعـه يومًا.. مسافرًا لزيارة أهله، بعدما وصل إلى هنالك أحس بالإرهاق، لكنه كان مشتاقًا لرؤية بلدته.. بشوارعها وأزقّتها وأشجارها وغاباتها، فما أن وصل، وسلم على أهله الذين استقبلوه بالحفاوة واستقبلته أمه بالحنان والشوق، مضى بين الأشجار ليتأمل بلدته التي غاب عنها سنوات، حتى غلبه النوم وسط الطريق، ليجد نفسه يسير في طريق في إحدى القرى.. إحدى قرى كينيا البسيطة الممتلئة بالأكواخ والأشجار، رأى أطفالًا لا يرتدون سوى خيوطٍ من خرز، ويلعبون أمام أكواخهم المستديرة، والعديد من الرجال كبار السن يلوحون إليه بأيديهم للترحاب بـه من بعيد كأنه رجلٌ مرموق ذو قيمة عالية، لكن مع مواصلته المسير بدأ يلاحظ أن هؤلاء ينظرون إلى خلفه في خوفٍ ورعب، ويدخلون أكواخهم؛ خوفًا مما يرونه خلفه.

ثم سمع صوت فهد أو زئير أسد، فيقول الشاب: فبدأتُ في الجري داخل الغابات وتعثرت في الجوع والفروع وأشجار الكرم (العنب). إلا أنني في النهاية لم أستطع مواصلة الجري، وسقطتُ جاثيًا على ركبتي وسط أرضٍ خالية من الأشجار يضيئُها ضوء مشرق، وكأن هذا الضوء المشرق فوز كبير سوف يحققه وسط الأضواء، يقول الشاب: وبينما أنا ألهث لالتقاط أنفاسي، استدرت خلفي.... وفجأة!

رأيت النهار انقلب ليلًا، وشبحًا عملاقًا يطاولُ الأشجار يلوحُ لي في الأفق، ولا يرتدي سوى قطعة من القماش القرمزي التي تستر عورته، ويضع قناعًا كقناع الأشباح، وكانت عيناه الكئيبتان الجامدتان تخترقانني اختراقًا، وعنــدها سمعتُ صوتًا مدويًا يقول: «ألا إن الوقت قد حان»!

وبدأ جسمي كله يرجف بشدة، وأنا أستمع لهذا الصوت، كمــا لو كنتُ أتمزق تمزيقــًا.

هكــذا يحكي باراك أوباما الرئيس الأمريكي السابق هذا الحلم الذي رآه في الثمانينيات.. وذكره في كتابه «أحلامٌ من أبي» Dreams of my father.. هكذا قد بدا حلمه الذي

رآه من عشرات السنين دافعًا له ومؤثرًا على حياته.. ومؤذنًا لقيام تلك النهاية الموعودة.. ومنذرة لما سيأتي بعــده من رؤساء!



النيزك ونهاية الوحش!

في يوم الموعد اكتظ ملاك الإله غيظًا.. رفع الملاك القوي حجرًا كرحىً عظيمة.. ورماه في البحر قائلًا: هكذا بدفْعٍ ستُرمى بابل (مسمى رمزي لمملكة آخر الزمان لتشبيهها ببابل القديمة) المدينة العظيمة ولن توجد فيما بعد.

لأن تجارك كانوا عظماء الأرض يومًا ما.. إذ بسحرك ضلّت جميع الأمم.. وفيها وجد دم أتباع أنبياء وقديسين وجميع من قُتل على وجه الأرض.

بتدميرك يبكي تجار الأرض.. وينوحون عليكِ؛ لأن بضائعهم لا يشتريها أحد فيما بعدُ، بضائع من الذهب والفضة والحجر الكريم واللؤلؤ والبز والأرجوان والحرير والقرمز والخشب والنحاس والحديد والقرفة والبخور والطيب والخرد والزيت والحنطة والبهائم غنمًا وخيلًا ومركباتٍ حديدية.. كل هذه البضائع.. والتجار في جميع أنحاء الأرض سيقفون من بعيد.. من أجل خوف عذابها يبكون وينوحون، ويقولون ويلٌ! ويل! خَربت في ساعةٍ واحدة!

إنهم يزأرون جميعًا كالأشبال.. ويزمجرون كصغار الأسود..

وعند احتدامهم، أعدّ لهم شرابًا فأسكرهم؛ لكي يمرحوا، ثم ينامون نومًا أبديًا، فلا يستيقظون.

طلع البحر عليكم، فغمركم بهدير أمواجه، بعدما رمى الملاك الحجر في البحر فأغرقكم!

فأنت وإن ارتفعتِ إلى السماء فإنه يزحف عليك المدمرون.

وإسرائيل هو الذي عصا ميراثه، وترك رب القوات.. فلا تنفعينه.. وقد غرقتِ ودمرتِ.

أميــر الروم في النهاية

يقول دانيال: أعطي القرن سلطانًا.. فما يتكلم إلا بعظائم وتجاديف أن يفعل اثنين وأربعين شهرًا..

أما صفاته في التراث الإسلامي فكما قال كعب الأحبار، فيما رواه الحافظ نعيم بن حماد: طبارس هو ذاك الرجل الجسيم، الأجبه القبيح، عن ستين سنةٍ يخرج! يرى بالدم شرب الماء قائلًا: إلى متى نترك أكلة الجمل في بلادنا وأرضنا؟! سيروا بنا إلى أكلة الجمل نستبيحهم، قَالَ: فيسيرون إليه بجمعٍ لم يسيروا بمثله قط، حتى ينزلوا عمقًا، ويبلغ المسلمون مسيره ومنزله، فيستمدون حتى يأتيهم أقاصي اليمن، ينصرون الإسلام.

وعن كعب الأحبار الذي تكون على يديه الملاحم رجل من أهل هرقل يقال له طبر أو طبارة.

وعنه أيضًا قال: ثم لا تكون الملاحم إلا على يدي رجل من آل هرقل الرابع أو الخامس يقال له طبارة.

آثارٌ ذكرها كعب الأحبار في أخباره القديــمة على أن

صاحبها سيؤول إليه حكم مملكة أرض شنعار الجديدة، والتي ذُكِرت في تلك الأسفار أنها ستحكم العالم في آخر الزمان، وسيقوم على يديه الملاحم وهو آخر ملوك وحُكام تلك المملكة.



تحرير المسجد الأقصى

قال دانيال في رؤياه: وكنت أرى أنه وضعت عروش، وجلس قديم الأيام. لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقي، وعرشه لهيب نار، وبكراته نار متقدة.. نهر نار جرى، وخرج من قدامه. ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدامه. فجلس الدين، وفتحت الأسفار.

كنث أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التي تكلم بها القرن. كنت أرى أن قتل الحيوان «المملكة العظيمة» وهلك جسمه ودفع لوقيد النار.. أما باقي الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم، ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت.. كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه.. فأعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض..

ثم تُكبر ملائكة السماء ومع تكبيرها وتهليلها تقول:

استيقظي.. استيقظي.. البسي عزك أيتها الأرض المقدسة،

البسي ثياب فخرك يا فلسطين (في الأصل: صهيون) يا مدينة القدس، فإنه لا يعود يدخلك أقلف (غير مختون) ولا نجس، انفضي الغبار عنك قومي اجلسي يا أورشليم حُلَّت قيود عنقك أيتها الأسيرة.

لأني حينئذٍ أجعل للأميين شفة نقية لا شفة نجسة كشفة إسرائيل.. ليدعو جميعًا باسم الرب، وليعبدوه كتفًا على كتف.

الساحر الأخير

والآن قد حان الوقت الجزء الأخير من حكايتنا، حكاية الحاوي الأخير.. فهل أنتم مستعدون؟

- فلنحرق المشعوذ.

هكذا هتف أحد أهل القرية وهو يلفُّ والدي بحبل خشن ومتين حول العمود الخشبي اللعين، كنت أقف أرتجف ويدي الصغيرة تلتصق بيد عمي الذي وقف مرتديًا رداءً طويلًا وقلنسوة تخفي رأسه، وقد ارتديث أنا مثل ما ارتداه كي لا يتعرف علينا أحد، كانوا ليفتكوا بنا لو تعرفوا علينا، هذا ما قاله لي عمي.. وأردف: ولكني سوف أريك ما سيفعلونه بنا، بوالدك.. وليكن هذا درسك الأول.. البشر هم دومًا أعداؤنا.

أومئ له برأس مرتجف والدموع الجافة تغرق وجهي.. وها أنا ذا.. أقف وسط الحشود.. أراقب والدي وهو واقف يبكي ويرتجف ويتوسل إليهم ألا يحرقوه، يسخر منه أحدهم ويقول: وأين قوى السحر لتساعدك أيها الحاوي اللعين؟

الحقيقة أن والدي قضى عمره يحاول تعلُّم السحر، لكنه لم

يجِده أبدًا، كنت أتوقع أن يكون شامخ الرأس وكبرياؤه هو حاميه من النار، ولكن هذا لم يحدث.. المشهد كان لا يصدق، والنيران تلتهم جسد والدي، بينما صرخاته تدوي في الأرجاء..

زارني هذا المشهد في كوابيسي لأعوام تالية، تروني بعدها وأنا مراهق أجلس أمارس السحر مع عمي، يحكي لي عن الجن وابن الحظرد، عن الأسلاف..

كنت في الثامنة عشرة عندما قابلت علياء، وقررت ألا أكون ساحرًا، لقد أحببتها حقًّا.. جمالها الأخاذ، عيناها الواسعتان، وشعرها الطويل، جلدها الناعم الأبيض.. كتفاها المستديران وطريقة سيرها، نظرتها التي أسرت قلبي.. ولكن علياء كانت ملك آسر سيد القرية التي انتقلت أنا وعمي للإقامة بها، آسر الفتى الوسيم صلب البنية شديد العنفوان، يمرح بالخيل في الأرجاء، وتنظر له الفتيات بانبهار، العجائز ينظرن له بفخر، خيرة شباب القرية.. كذا يقول الحكيم وهو جالس يروي الشعر للفرسان.. بينما أنا، مخيون الفتى النحيل الذي لا يلاحظه أحد، وإن لاحظوه سخروا منه؛ لأنه فتى انطوائي خجول، يجلس وحيدًا يراقب علياء وهي تنظر لآسر في حب وافتتان..

في ذلك التوقيت كان المرض يفتك بجسد عمي، وذات ليلة عُدت للكهف لأجده جالسًا يسعل دمًا ويتأوه.. أقول له بشرود وأنا أفكر في علياء: لماذا لا يساعدنا السحر على الخلود؟

يسعل دمًا ولا يجيب.. أردف: لماذا لا يساعدنا السحر على الحب؟

يسعل دمًا ولا يجيب..

أجلس أنا برفق بجوار عمي، وأكمل: حاولت أن أكون إنسانًا طبيعيًا، ألا أكون حاويًا، حاولت أن أحبّ علياء وأجعلها تحبني، السحر هو ملاذي..

ينظر لي عمي بعدم فهم، أكمل أنا: جميعكم فشلتم في السحر؛ لأنكم أردتم مميزاته فحسب، ولم تضحوا بشيء، لم تفهموا ما هو مطلوب حقًا كي يتم الأمر.. ولكني فهمت.. فهمت كل شيء..

أرفع الخنجر عاليًا وأنحر عنق عمي، وتتناثر دماؤه على وجهي وأنا أردف: التضحية، علينا بالتضحية بالجزء البشري

بداخلنا، علينا أن نبيع روحنا لسيد الظلام.. الدماء هي الحل.

بعد أن انتهيت التهام جسد عمي جلست غارقًا في دمائه أهبه قربانًا لسيد الظلام.. أشعر بوجوده، يا للهول أنا حقًّا أشعر بوجوده، أشعر بقوَّته تسري في عروقي وبدني، لقد قبل تضحيتي.. أنا الآن الحاوي الأخير.

في الليلة التالية أصيب آسر بمرض شوَّه جلده وجعله قبيحًا، وأصيبت علياء بالعمى بعد أن رأت حبيبها، الطاعون أصاب القرية، وفتك بفرسانها.. ونشب بها حريق مهول ذهب بالحصاد كله.. تلك كانت أفعالي.. وهديتي الأخيرة لهم قبل أن أرحل..

والآن سوف أخبركم بسرٍّ صغير.. عمري الحقيقي هو خمسمائة عام.. لقد بحثت عن الخلود ووجدته، أنا شهدت تغيرات الدهر كله، الحرب العالمية الأولى والثانية.. شهدت التاريخ الحقيقي قبل أن يزيفوه وسط الكتب.. أنا الذي زرت المحقق ألفريد في مكتبه وأعطيته الرؤية وفتكت بزميله.. الحقيقة أن الخلود قد أصابني بالسأم، الوحدة تفعل هذا يا رفاق.. ولهذا بحثت وبحثت عن تحدٍّ جديد، وكان التحدي الأخير هو مؤامرات الكون كله، أرض شنعار.. السر الأعظم..

سر دانيال.. أفنيت عقودًا وأنا أبحث وأستكشف، وعندما فهمت أدركت أن تلك نهايتي، بعض الأسرار لا يجب الاقتراب منها أبدًا.. حتى لو كنت حاويًا خالدًا يهيم الأرض، وينشر العبث في كل صوب، لقد وهبني سيد الظلام الخلود، لكنه لم يحمِنِي، كان قدري دومًا أن أموت في أرض شنعار.. أنتم أيضًا عرفتم الحقيقة والسر كله، أنتم لستم في أمان.. الموت يريح منجله، ويبتسم لي الآن، وهو يمد يده.. ملمس يده غريب.. إنها النهاية حقًا، نهاية الحاوي الأخير.. وداعًا يا رفاق.. لقد انتهت حكاية الحاوي الأخير، وأرض شنعار.. كلا، لقد انتهت حكاية الحاوي الأخير.. ولكن حكاية أرض شنعار لن تنتهي أبدًا.

تمت

المراجع

- القرآن الكريم.

- العهـد القديم.

- العهد الجديد.

- البداية والنهاية لابن كثير.

- تاريخ الطبري.

- الإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر.

- تاريخ الدولة العليّة العثمانية (محمد فريد بك).

- رؤيا يوحنا اللاهوتي.

- نيويورك تايمز (جريدة).

- أحلامٌ من أبي باراك أوباما.

- موسوعة ويكيبيديا.

---

(1) لقب كهنة يهوذا.

(2) النير: خشبة توضع على الكاهل.

(3) اطلع بعض العرب في الجاهلية وصدر الإسلام على هذا المخطوط ونقل الإمام القرطبي: (عن هشام بن محمد أنه فيما بين عدنان وقيدار نحوًا من أربعين أبًا، وقال: سمعت رجلًا من أهل تدمر من مسلمة يهود، وممن قرأ كتبهم يذكر نسب معد بن عدنان إلى إسماعيل، من كتاب أرميا النبي عليه السلام) أهـ

(4) تنبيه!: المحرقة الدائمة هي شريعة الرب، فقد كان يُرمز لها بالنار أو المحرقة كما في سفر التثنية: (وفي يمينه نار شريعة)، أما تعريفها الحرفي فهي تعني تقدمة ذبائح الرب في الهيكل، ثم تأتي نار فتحرق هذه الذبيحة، وهي تُستخدم كنايةً عن التسليم الكامل للرب، وقد تم استخدامها في عدد من الأسفار بديلًا عن الديانة أو الشريعة.

فنزع المحرقة الدائمة هي نزع الخلافة والحكم بالشريعة. أما رجس المُخرب هو تنجيس القدس وتخريبه بدولة إسرائيل.